

عبد اللطيف البغدادي في مصر



وصف مصر حوالى سنة ١٢٠٠ للميلاد
بقلم الأديب العربى المشهور عبد اللطيف البغدادي

مكتبة
القاهرة



طبع بمطبعة المحلة الجديدة
شارع الملكة نازلى ١٤٩
بالقاهرة



عبد اللطيف البغدادي في مصر



صفحه مصر حوالي سنة ١٢٠٠ ميلاد
علم الآداب العربي المشهور عبد اللطيف البغدادي

كلمة المحرر

نشرنا هذا الكتاب بلجة أسباب . منها أنه يصف حالة مصر في عصر صلاح الدين (الذي مات سنة ١١٩٣) وهو العصر الذي نهضت فيه الامة عقب خمول الدولة الفاطمية وانقراضها . ومنها أننا أردنا ان نضيف الى المؤلفات التي نهديها الى المشتركين بالجلدة الجديدة مؤلفا هديا يصل بين الثقافتين القديمة والحديثة واسلوب عبد اللطيف من أرق الاساليب وله أفكار عصرية غربية ورغبة في الدقة ونزوع الى التحقيق العلمي مع نقائص قد يعذر عليها للزمن الذي عاش فيه

ورجل عاش في عصر صلاح الدين والحروب الصليبية ورأى موسى ان ميمون وعاصر السهروردي وتنقل بين بغداد والموصل ودمشق والقاهرة جدير أن يعرفه القارئ العربي

ولم نسم هذا الكتاب باسمه الاصلى ، الافادة والاعتبار في الامور المشهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، وانما اكتبنا بعنوان « عبد اللطيف البغدادي في مصر »

وفد وضع هذا الكتاب حوالى سنة ١٢٠٠ للميلاد . وهو يمثل لنا مصر في القرون الوسطى

ترجمہ اند المرقب

نقشنا هذه الترجمة مع بعض الاختصار من

كتاب طبقات الاطباء لان أنى أصبغة

هو الشيخ الامام العاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أنى سعد ويعرف بابن اللباد موصلی الاصل بغدادی المولد. كان مشهوراً بالعلوم متحلياً بالفضائل ملجح العبارة كثير التصنيف وكان متميزاً في النحو واللغة العربية عارفاً بعلم الكلام والطب. وكان مد اعنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلها وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من الاطباء للقراءة عليه وكان والده قد شعله بجماع الحديث في صباه من جماعة منهم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن العلي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم. وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشغولاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراآت مجيداً في المذهب والخلاف والاصولين وكان منطرباً من العلوم العقلية. وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً مجيداً وكان الشيخ موفق الدين عبد الله كثير الاشتغال لا يخلى وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة. والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء وكان صديقاً لجدى وبينهما محبة أكيدة بالديار المصرية لما كانا بها. وكان أبي وعمي يشتغلان عليه بعلم الأدب واشتغل عليه عمي أيضاً بكتب أرسطوطاليس. وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها والفهم لمعانيها وأتى إلى دمشق من الديار المصرية وأقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلومه ورأته لما كان مقبلاً بدمشق في آخر مرة أتى إليها وهو شيخ نحيف الجسم ربح القامة. حسن الكلام جيد العبارة وذات مسطرته أبلغ من لفظه وكان رحمه الله يتجوز في الكلام كسيرة سائر في نفسه وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين

وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه

(ونقلت) من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله قال: اني ولدت بدارلجدي في درب الفالوذج في سنة سبعة وخمسين وخمسمائة وتريت في حجر الشيخ أبي النجيب لا أعرف اللعب والهوى وأكثر زماني مصروف في سماع الحديث وأخذت لي أجازات من شيوخ بغداد وخراسان والشام ومصر. وقال لي والدي يوماً قد أسمعتك جميع عوالي بغداد وألحقتك في الرواية بالشيوخ المسان. وكنت في أثناء ذلك أتعلم الخط وأتحفظ القرآن والفصيح والمقامات وديوان المتنبي وعو ذلك ومختصراً في الفقه ومختصراً في النحو فلما ترعرت حملني والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الاناري وكان يومئذ شيخ بغداد وله بوالدي صحة قدمة أيام التفقه بالنظامه فقرأت عليه خطبة الفصيح فهدركلاماً كثيراً متابعاً لم أفهم منه شيئاً لكن التلاميذ حوله يعجبون منه ثم قال أنا أجفو عن تعلم الصبيان أحمله الى تليذي الوجهه الواسطي يقرأ عليه فاذا توسط حاله قرأ علي. وكان الوجهه عند بعض أولاد رئيس الرؤساء وكان رجلاً أعمى من أهل الثروة والمروءة فاخذني بكفتي يديه وجعل يعلنني من أول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف فكنت أحضر حلقة بمسجد الظفرية ويجعل جميع الترويح لي ويخاطبني بها وفي آخر الامر أقرأ درسي ويخصني بشرحه ثم يخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق. فاذا بلغنا منزله أخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فاحفظ وأحفظ معه ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسي ويتروح له وأنا أسمع. وتخرجت الى ان صرت أسبقه في الحفظ والفهم وأصرف أكثر الليل في الحفظ والتكرار وأقنا على ذلك برهة كلها جاء حمطلي كثير رجاء ومعي فؤي واستند وزهني احتر واستقام. وأنا ألازم السبع وربع الشيخ وأول ما ابتدأت حمطت البع في ثمانية أشهر أسمع كل يوم مريح أكثرها مما يقرر شيرز وبقا الى بيتي فاطالع شرح التماين وشرح لدرين عمر حمره و شرح ابن برهان و كل ١٠٠ جزء من ترويحها وأشرحها لتلاميذ مختصرون الى ان صرت أتكلم على كل باب كرايه بر

الأول في شهر وأما تفويم اللسان ففي أربعة عشر يوما لأنه ثل أربعة عشر
كراسا ثم حفظت مشكل القرآن له وعرب القرآن له وظل ذلك في مدة يسيرة
ثم انتقلت الى الإيضاح لأن على العارسي حفظته في شهر كثيرة ولازمت مطالعة
سروحه وتبعته التتبع التام حتى تحرت فيه وجمعت ما قال الشراح وأما التكملة
فحفظتها في أيام يسيرة كل يوم كراسا وطالعت الكتب المسبوطة والمختصرات
وواظبت على المقتضب المبرد وكتاب ابن درستويه وفي أثناء ذلك لأعقل سماع
الحديث والتفقه على شيخنا ابن فصلان دار الذهب وهي مدرسة معلقة بها آخر
الدولة المطب قال وللشيخ كال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصيفا أكثرها
في النحو وبعضها في الفقه والاصول وفي النصوص والرهو وأتيت على أكثر
اصا يه سماعا وقرأه وحفظ وشرع في تصنيفين كبيرين أحدهما في اللغة والآخر
في الفقه وم تتفق تمامه وحفظ عليه طائفة من كتاب سبويه وأكملت
على المقتضب فائقه واعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سبويه ولترحه للسباني
ثم رثت عن ابن عبيدة الكرخي كتابا كثيرة منها كتاب الاصول لأن السراج
واسحة وقف ابن احسان بن المأمونية وقرأت عليه الفرائض والعروض
لمحظيت التبريري وهو من خواص تلاميذ ابن الشحرى وأما ابن الحشاش فسمعت
مراته معاني الرياح على الكادة شهدة بنت الارى وسمعت منه الحديث المسلسل
وهو الرحوم برحمهم الرحمن الرحيم في الارض برحمتك من في السماء

وقال أيضا موفق الدين الاعدادي أن من متباحه الدين اتبع بهم با زعم ولد
من لدولة التليد وناع في وصفه زكر وهذا لكثرة حصه للعراقيين والا
مولد امين الدولة لم تكن هذه الامانة في قرنا من قبل وقال أنه ورد الى بغداد رحل
معرى محال في رى التصوف له أهم. وليس مقول الصورة عليه مسحة الدين
عنه اساحد محل نصرته من رة قبل أن يحضر يعرف ابن تاتلي يرسم أنه
اولاد مائتة حرج من لمع د لما استولى عليه عبد المؤمن ولما استقر بعد
منه الد ساعة من الايام والاعداد وحضره الرضى القررى رحمه الله اسيرج
منه واحد من حضره اترأى بعد حبه رة مائة ابن باشار
منه واحد من حضره اترأى بعد حبه رة مائة ابن باشار

وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء وابن طلحة الكاتب وبيت ابن جبير وابن
 العطار المقتول الوزير وابن هيرة الوزير. واجتمعت بالكندى البغدادي النحوي
 وجرت بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة ثم اني أهملت
 جانه فكان يتأذى بأهمالي له أكثر مما يتأذى الناس منه. وعملت بدمشق نسايف
 جمعة منها غريب الحديث الكبير جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام وغريب
 ابن قتية وغريب الخطابي وكنت ابتدأت به في الموصل وعملت له مختصراً سميته
 المحرد وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً وكتاب
 الآلف واللام وكتاب رب وكتنا في الذات والصفات الذاتية الجارية على
 السنة المتكلمين وقصدت هذه المسئلة الرد على الكندى. ووجدت بدمشق
 الشيخ عبد الله بن تاتلي نازلاً بالمأذنة الغربية وقد عكف عليه جماعة وتحزب
 الناس فيه حزبين له وعليه فكان الخطيب الدولي عليه وكان من الاعيان له
 منزلة وناموس ثم خطط ابن تاتلي على نفسه فأعان عدوه عليه وصار يتكلم في
 الكيمياء والفلسفة وكثر التشنيع عليه واجتمعت به فصار يسألي عن أعمال اعتقد
 أنها خسيسة زرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني وكاشفته فلم أجده كما كان في
 نفسي فساء به ظني وبطريقته ثم باحثته في العلوم فوجدت عنده منها اطرافاً نورة.
 فقلت له يوماً: لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العلوم
 الشرعية او العقلية كنت اليوم في يد عصرك مخدوماً طويلاً وعمرَكَ وهذا هو الكيمياء
 لا ما تطلبه. ثم اعتبرت بحاله وازجرت بسوء مآله. والسعيد من وعظ بغيره فأقلعت
 ولكن لا كل الافلام ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا بشكو اليه الدولي
 وعاد مريضاً وحمل الى البيمارستان فمات به واخذ كتبه المعتمد تحته بدمشق وكان
 متيماً بالصنعة. ثم اني توجهت الى زيارة القدس الى صلاح الدين بظاهر عكا
 فاجتمعت بها. الدين شداد قاضي العسكر يومئذ وقد اتصلت به شهراً بالمرسل
 فانبسط الى واقبل على وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب. فمنا اليه وخيمته. او
 خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثالث ر. شيخ
 سودة. وقال هذا كتاب الى بلدكم. وذا كرني في مسائل... في كلامه وقال.
 فمنا بذلك القاضى العاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب

وهو يكتب ويحلى على اثنين ووجهه وشفته تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بحمالة أعضائه . وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها . أين جواب إذا وأين جواب لوى قوله تعالى ولو أن قرأ ما سيرت به الحمال ، وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لى ترجع الى دةشق ونجوى علك الجرايات فقلت أريد مصر فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها . فقلت لا بد لى من مصر فكتب لى ورقة صغيرة الى وكيله بها فلما دخلت القاهرة جاءنى وكيله وهوا بن سناء الملك وكان شيخا جليل القدر نافذ الامر فانزلى دارا قد ازيمحت علها وجاءنى بدنانير و غلة . ثم مضى الى أرباب الدولة وقار هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكانت كل عشرة أيام أو نحوها تفصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية فى حقى وأقت بمسجد الحاجب رحمه الله أقرى الناس وكان قصدى فى مصر ثلاث أنفس ياسين السيميانى والرئيس موسى بن ميمون اليهودى وأبو القاسم الشارعى . وكلمهم جاؤنى . أما ياسين فوجدته محالبا كذابا مشعبذا يشهد للشافعى بالكيمياء ويشهد له الشافعى بالسيميا . ويقول عنه أنه يعمل أعمالا يعجز موسى ابن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء وبأى مقدار شاء . وبأى سكة شاء وانه يحمل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه نحتوا . وكان ضعيف الحال . وجاءنى موسى فوجدته فاضلا لاقى الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا وعمل كئنا فى الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ومن حسة كتب أخرى ونسرد أن لا ينبر فيه حرفا الا ان يسلون واو عضف أوقاف وصل وانما يقل مصولا يختارها . وعمل كتابا لليهود سماه كتاب الدلالة ولعن من يكتبه بغير انقضاء المبررات ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء بهصل أصول الشرايع والمقائد مما يفضى أه يصلحها . وكنت ذات يوم بالمسجد وتندى بجمع كثير فدخل شيخ رس انتياب نبر الطامة مقول الصورة هبابه اجع ورفوه فوقه وأحدث فى أتمان كرامى فساند به شمس حانر اءءء مسجد وقال أئءءب عدا الشيعية فعدا أو القاسم الشارعى

لله سبحانه وتعالى على ذلك فان أكثر الناس انما هلكوا بكتبهم وسننهم بالخيال .
ثم ان صلاح الدين دخل دمشق وخرج يودع الحاج ثم رجع فخم هضده من لا
حررة عنده فخارت القوة ومات قل الرابع عشر ووجد الناس عليه شيئا مما
يحدونه على الاساء وما رأيت ملكا حزن الناس بموته سواه لأنه كان محبوبا
والعاقبة والمسلم والكافر . ثم تفرق أولاده وأصحابه أيادى سا ومرقوا في
البلاد كل مرق وأكثرتهم بوجه الى مصر لحصنها وسعة صدر ملكتها وأقتت بدمشق
بملكها الملك الافضل وهو أكبر الاولاد في السن إلى ان جاء الملك العزيز
مساك مصر محاصر أحاه بدمشق فلم يلب منه بعية . ثم تأخر الى مرج الصفر ولحق
عص له فخرجت اليه بعد خلاصة مه فادن لي في الرحل معه وأحلى على من
يت المال كعاق وريادة وأقتت مع الشيخ أنى القاسم بلارمى صاحب مساء الى ان
قصي محبه ولما اشتد مرضه وكان ذات الحب عن رلة من رأسه أسرت عليه
سواء فانتد

لا أدود الطير من شعر هذ بلوت المر من تمره

سأنته عن ألمه فقال ما لخرج بميت ايلام

وكانت سيرى في هذه المدة أي اوى الناس بالخامع الارهر أول الدمار الى
بحر الساعة الراحة ووسط النهار باقى من قرأ الطب وغيره وآخر النهار أرحم
الخمير الارهر فقرأ قوم آخرون وفي الليل اشتعل مع مسمى ولم أر على
ذلك الى أن توفي الملك العزيز وكان سااكر شجاعا كبير الحياء لا يحس مؤا

أرى مع حداته سه ومرة شابه تامن العفة عن الا والواله وح
فمن) . . . الشيخ مرقو المداهم بالماهره . . . ذلك . . .

حر . . . من أولاد ملك مصر . . . مصر . . .
هم . . . والذى تم تهدهم . . . وألف الشيخ مرقو المداهم في ذلك . . .
س . . . ساهده . . . وسمعا . . . بها . . . رسل . . . ر . . . ر . . .
لافاة والأعدي . . . الامور . . . المتأله . . . الخوات . . .
الطعان الملك العدل . . . س . . . ر . . . ر . . . ر . . .
لا . . . ر . . . ر . . . ر . . . ر . . .

توجه الشيخ موفق الدين إلى القدس وأقام بها مدعوتان يتردد إلى الجامع الأقصى ويشغل الناس عليه بكثير من العلوم وصنف هنالك كتباً كثيرة. ثم أنه توجه إلى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها وذلك في سنة أربع وستائة. وشرع في التدريس والاشتغال وكان يأتيه خلق كثير يشغلون عليه ويقرأون أصنافاً من العلوم وتميز في صناعة الطب بدمشق وصنف في هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به. وأما قبل ذلك فأنما كانت شهرته بدمشق مدة وانتفع الناس به ثم أنه سافر إلى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب أرزنجان. وكان ملكاً عنده عظيم المنزلة وله منه الجامعة الوفرة والافتقادات الكثيرة وصنف باسمه عدة كتب. وكان هذا الملك على المهمة كثير الحياء كريم النفس وقد اشتغل بشيء من العلوم ولم يزل في خدمته إلى أن استولى على ملكه صاحب أرزن الروم وهو السلطان كيخسرو ابن طنج أرسلان ثم قبض على صاحب أرزنجان ولم يظهر له خبر.

(قال) الشيخ موفق الدين عبد اللطيف ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستائة توجهت إلى أرزن الروم وفي حادي عشر صفر من سنة ست وعشرين وخمسة رجعت إلى أرزنجان من أرزن الروم وفي نصف ربيع الأول توجهت إلى كاخ وفي جمادى الأولى توجهت منها إلى درى وفي رجب توجهت منها إلى ملطية وفي آخر رمضان توجهت إلى حلب ووصلنا صلاة عيد الفطر بالهساء ورحلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال هو حداثاً قد تضاءلت عمارتها وخيرها وأمنها بحس سيرة أباك شهاب الدين واجتمع الناس على محبة لمعدته في رعيته.

(أقول) وأقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشغلون عابه وكثرت نصائبه وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أنارك حلب حارس وهو مدرس صعدة "ص" وخيرها ودية رد إلى الجامع بحلب ليس
ويشبهه ركان داهم لا شكنا
... ..

ومراسلاته وبعث الى أشياء من تصانيفه من خطه (وهذه) نسخة ثاب كتته اليه لما كان بحلب : المملوك يواصل بدعائه وثنائه وشكره واتماته الى عبودية المجلس السامي المولوى السيدى السندى الأجلى الكيرى العالمى الفاضل موفق الدين سيد العلماء فى الفارين والحاضرين جامع العلوم المتفرقة فى العالمين ولى أمير المؤمنين أوضح الله به سبل الهداية وأثار ببقائه طرق الدراية وحقق بحقائق ألفاظه صحيح الولاية ولا زالت سعادته دائمة البقاء وسيادته سامية الارتقاء وتصانيفه فى الآفاق قدوة العلماء وعمدة سائر الأدباء والحكام . المملوك يحدد الخدمة ويهدى من السلام أحليه ومن الشكر والثناء أعدبه ويسبى ما يكابده من أليم التطلع الى مشاهدة أنوار شمس المنيرة وما يعاينه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة وما تزايد من القلق وتعاضل عند سماعه قرب المزار من الأرق

وأبرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار ولولا أمل فقول الرباب العالمى ووصول الجناب الموفقى الجلالى اسارع المملوك الى الوصول ولادر المبادرة بالمتول ولجاء الى شريف خدمته وفاز بالنظر الى بهى طلعت فيا سعادة من فاز بالنظر اليه وباشرى من مثل بين يديه وباسرور من حظى بوجه اقباله عليه ومن ورد بحار فضله من نيرها واستضاء بشمس علمه فسرى فى ضياء منيرها نسأل الله تعالى تقرب الاجتماع وتحصيل الجمع بين مسرق الأبصار والاسماع بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى

(ومن مراسلات) الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث الى آتى فى أول كتاب وهو يقول فيه عى : ولد الولد أعز من الولد وهذا موفق الدين ولد لى وأعز الناس عندى وما رايت العجاجة تتين لى فيه من الصغر . ووصف وأتى كثيرا . وقال فيه : ولو أمكننى أن آتى اليه بالقصد لبيتغل على نعمته . وباجلته فانه قد عزم ان يأتى الى دمشق ويقم بها تم خطرته انه فلذلك يحج ويجعل طريقه على بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه ولما صل بغداد مرضى . عشر المحرم سنة ثمان وعشرين .

و ستمائة . ودفن بالوردية عند أبيه وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقى غائبا عن
خمسا وأربعين سنة . ثم ان الله تعالى سافه اليها وقضى منيته بها

(ومن) كلام موفق الدين عبد المصطفى البغدادي عما نقلته من خطه قال : ينبغي
ان يحاسب نفسك كل ليلة اذا أويت الى منامك وتظن انك كسبت في يومك من حسنة
فقد شكر الله عليها وما اكنسبت من سيئة فاستغفر الله منها وترتب في نفسك مما تعلمه في غدك
من الحسنات وتسال الله الاعانة على ذلك . وقال أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان
وقت من نفسك بقوة الفهم عليك بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ولو كان
الاستاذ نافعا فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وتوقيره وأن
قبرت أن تفديه من دنياك فافعل والا فلبسائك وتناك وإذا قرأت كتابا فاحرص
كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم أن الكتاب قد عدم وأنت
مستغن عنه لا تحزن لفقدته وإذا كنت مكيا على دراسة كتاب وتفهمه فإياك أن
تشتغل بآخر معه واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه وإياك أن تشتغل
بمصدر دومة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله فإذا
قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن أنك إذا حصلت علما فقد اكتفيت
بل تحتاج الى مراعاته لينى ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكير واشتغال
المسند . بالتخلف والتعلم ومباحثة الاقران واشتغال العالم بالتعليم والتدريس وإذا
تصدت لتعليم علم أو استأطرة فيه فلا تخرج به غيره من العلوم فان كل علم مكثف
نفسه مستغن عن غيره فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيعاب أقسامه . وكفى
يستعين بالله أخر إذا ضاقت عنه أو جمل بعضها قال وينبغي للانسان أن يقرأ
التواريخ وأن يضع على السير ويحارب الامم بمصير بذلك كانه في عمره القصير قد
تدرك الامم الخالية وعاصرها وعشرتها وعرف خيرهم وسرهم قال وينبغي أن يكون
سيرتك سيرة الصالحين لا سيرة الفاسقين . الى صلاته عليه وسلم وتذبح أفعاله وأحبار
و زعم آزاره ونشبهه ما أمسك رقة طافك وإذا وقعت على سيرة في مصعب
ومير ومندس ومناه وقضا وقمر ومعه وتبعه وتطيه ومعا
و زعم و زعمت السير من ذاك
و زعمت و زعمت

العلماء وعلى تصانيفهم وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ومن لم يكتوه لم يسود ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ومن لم يكده لم يفلح وإذا خلوت من التعلم والنفس فحرك لسانك بذكر الله وبتساويحه وخاصة عند النوم فيأشربه لك ويتعجن في خيالك وتكلم به في منامك وإذا حدث لك فرح وسرور بعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات وإذا احزنك أمر فاسترجع وإذا اعترتك غفلة فاستغفر واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك الى الآخرة وإذا أردت أن تعصى الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه . واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وأن أخفاه وستره وأن ستره فاطفه مكشوف لله والله يكشفه لعباده فعليك أن تجعل باطنك خيراً من ظاهرك وسرك أصح من علانيتك ولا تألم إذا عرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل . وقلنا يتعمق في العلم ذو الثروة إلا ان يكون شريف الهمة جداً أو ان يرى بعد تحصيل العلم وانى لا اقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها لأن همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا إنما تحصل محروص وفكر في وجوهها فاذا غفل عن اسبابها لم تأت . وايضاً فان طالب العلم أشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن أصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والارو على ابوابهم ولعوض احوالنا بيت شعر

من جدي طلب العلوم آفاته تنرف العلوم دابة التحصيل

وجميع طرق مكسب الدنيا تحتاج الى ذراع ماء حذو فيها وسرور الزمان اليه والمشتغل بالعلم لا يسهه حتى من ذلك وانما ينظر ان تأتبه الدنيا فلا يستدبره من غير ان يطلعه طلب مثلها وهذا منه وعدوانه ولكم اذا تمسك الزجر في العلم وشهره خطب من تل حنة وعرضت عليه المناصب وجاءت انبيا صاغرة وأخذها ومام وجهه موفور برضاه وده مصور وأعد ان للده عفة وعرفا يبادى حتى عده وده . وصفاً بشرق عليه ويدل على كتمان المسكن لا يحكي مكانه ولا

تجمل بضاعته ولكن يمشى مشعل في ليل مدلم . والعالم مع هذا محبوب أبنا فان
وكيفما كان لا يجد الا من يميل اليه ويؤثر قره وياأس به ويرتاح بمداناته وأعلم
أن العلوم تغور ثم تغور ، تغورى زمان وتغورى زمان . بمنزلة النبات أو عيون المياه
وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع (ومن) كلامه أيضا نقلته من خطه
قال : اجعل كلامك فى الغالب بصفات أن يكون وحيداً فصيحاً فى معنى مهم أو
مهم حسن فيه العاز ما وإهام كثير أو قليل ولا تجعله مبعلاً ككلام الجمهور بل
رفعه عنهم ولا تبعاه عليهم جداً . وقال اياك والهدر والكلام فيما لا يعنى وإياك
والسكوت فى محل الحاجة ورجوع النوبة اليك أما لاستخراج حق أو اجتلاب
مودة أو تنبيه على فضيلة وإياك والضحك مع كلامك وكثرة الكلام وتبذير
الكلام بل اجعل كلامك سردا بسكوت بحيث يستشعر منك أن وراءه أكثر منه
وأعني خيرة سابقة ونظر متقدم . وقال اياك والغلظة والخطاب والخفا فى المناظرة فإن
ذلك بدو هـ . بهجة الكلام ويسقط فائدته ويعدم حلاوته ويجلب الضغائن ويمحق المودات
ويصير القائل مستقلاً سكوتيه أشهى الى السامع من كلامه ويتبر النعوس على معاندته
ويسيطر الألسن بمخاشنته واذهاب حرمة . وقال لاترتفع بحيث تستغل ولا تتناول حيث
تستخر وتسحق وقال اجعل كلامك كله جزلاً وأجب من حيث أمثل لا من حيث تعداد
وألف . وقال انزع عن عادات الصبا ونجمد عن مألوقات الطبيعة واجعل كلامك
لاهوتياً فى الغالب لا يملك من خبر أو قول أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل
سائر وقال نخب الواقعة فى الداس ولتب الملوك والغلظة على المعاصرة واتمة
المضرب وتجاوز الحدفه . وقال استكثر من حفظ الاشعار لامتالية والنوادير
الحكيمة والمعاني المستترية (ومن) رعايته رحمه الله قال اللهم أعذا من تهموس
نفسه وروح النفس الزبدية وسواس له مقادير تفوق وخدا فى سواء الطريق
إلى دى " همى امرئ . اصلاً . يحى القلوب لمسة باليمن يا مبير ظلة الفضالة
بل لا تقاذح ايدي من مو . مذكية نجاة من ردغة الضيعة ضراً من در .
بها . ذمة اراحه صلات . تتورث ملك الآخرة والم

هذا كتاب
الافادة والاعتبار في الامور
المشاهدة والحوادث
المعاينة بأرض مصر
لعبد اللطيف
الغدادى

بسم الله الرحمن الرحيم
المقالة الاولى وهى ستة فصول

الفصل الاول

في خواص مصر العامة لها

أن أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الاخبار . وهى واد يكتنفه
جبلان شرقى وغربى . والشرقى أعظمهما . يبتديان من اسوان ويتقاربان بأسنا حتى
يكادا يتماسان ثم ينفرجان قليلا قليلا . وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا حتى إذا أزيا
الفسطاط كان بينهما مسافة يوم فادونه . ثم يتباعدان أكثر من ذلك والنيل ينساب
بينهما ويتشعب بأسافل الارض وجميع شعبه تصب في البحر المالح
وهذا النيل له خاصتان . الاولى — بعد مرماء . فانا لانعلم فى المعمورة نهرأ
أبعد مسافة منه لأن مباديه عيون تأتى من جبل القمر وزعموا أن هذا الجبل وراء
خط الاستواء باحدى عشرة درجة وعرض اسوان وهى مدأ أرض مصر اثنتان
وعشرون درجة ونصف درجة وعرض دمياط وهى أقصى أرض مصر احدى
وثلاثون درجة وثلاث درجة . فتكون مسافة النيل على خط مستقيم ثلاثا وأربعين
درجة تنقص سدسا ومساحة ذلك تقريبا تسع مائة فرسخ منذأ سوى دمياطخذ
من التعرج والتوريب فإن اعتبر ذلك تضاعفت المساحة جدا
والخاصة الثانية — أنه يزود عند نضوب سائر الانهار وتشتت المياه لانه
يسىء بالزيادة عند انتهاء طول النهار وتماهى زيادته عند الاعتدال الخريفى
وحينئذ تدفع الترخ وتفيض على الاراضى . وعلة ذلك أن مواد زيادته أمطار

غزيرة دائمة وسيول متواصلة تمتد في هذا الاوان فان امطار الاقليم الاول والثاني انما تغزر في الصيف والقيظ

وأما أرض مصر فلها أيضا خواص منها أنه لا يقيم بها مطر الا ما لا احتفال به وخصوصاً صعيداً فأما أسافلها فقد يقيم بها مطر حود لكنه لا يفي بحاجة الزراعة . وأما دمياط والاسكندرية وماداناها فهي غزيرة المطر ومنه يشربون وليس بأرض مصر عين ولا نهر سوى نيلها

ومنها أن أرضها رملية لاتصلح للزراعة لكنه يأتيها طين اسود علك فيه دسومة كثيرة يسمى الابليز يأتيها من بلاد السودان مختلطاً بماء النيل عند مده فيستقر الطين وينضب الماء فيحرق ويذرع . وكل سنة يأتيها طين جديد ولهذا يزرع جميع أراضيها ولا يراخ شيء منها كما فعل في العراق والنعام لكنها يخالف عليها الاصناف . وقد لحطت العرب ذلك فاتها تقول اذا كثرت الرياح جادت الحرائث لأنها تهجم بتراب غريب وتقول أيضاً إذا كثرت المؤتفكات زح الزرع . ولهذا العلة تكون أرض الصعيد زكية كثيرة الاتاء والريم اذا كانت أقرب الى المبدأ فيحصل فيها من هذا الطين مقدار كثير بخلاف أسفل الأرض فاتها أسافة مضوية اذا كانت رقيقة ضعيفة الطين لأنه يأتيها الماء وقد راق وصفا ولا أعرف شبيها بذلك إلا ما حكى لي عن بعض جبال الاقليم الاول أن الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرق ويذرع فاذا حصد جاءت به رياح أخرى فسفته حتى يعود أجرد كما كان أولاً . ومنها أن الفصول بها متغيرة عن طبيعتها التي لها فان أخص الاوقات باليس في سائر السلاسل أعنى الصيف والخريف تكثر فيه الرطوبة بمصر مد نيلها وفيضه لأنه يمد في الصيف ويطلق الأرض في الخريف . فأم سائر السلاسل من مياهها تنش في هذا الاوان وتغزر في أخص الاوقات بالرطوبة أعنى الشتاء والريم ومصر إذ ذاك تكون في غاية "تقحرة" واليس وهذه العلة تكثر عنوة واختلاف هوائها في السلاسل لا ريم الدينية الخدعة عن احداث صفراوية رخصية زبدية تبيد لهم امراضا في السلاسل في السحاب والمحورين . وكثير

ما يكون مع الصفرا حام ، وأكثر أمراضهم في آخر الخريف وأول الشتاء لكنها يغلب عليها حميد العاقبة وتقل فيهم الأمراض الحادة والدموية الوحية وأما أمحاؤهم فيغلب عليهم الترهل والسكل وشحوب اللون وكودته وقلبا ترى فيهم مشبوب اللون ظاهر الدم وأما صبيانهم فضاوون يغلب عليهم الدمامة وقلة النضارة وإنما تحدث لهم البدانة والقسامة غالبا بعد العشرين . وأما ذفاؤهم وتوقد أذهانهم وخفة حركاتهم فلحرارة بلدهم الذاتية لان رطوبته عرضية . ولهذا كان أهل الصعيد أغفل جسوما وأجف أمزجة والغالب عليهم السمرة وكان ساكنو الفسطاط الى دمياط أرطب أبدانا والغالب عليهم البياض ولما رأى قدماء المصريين أن عمارة أرضهم إنما هي ينيلها حملوا أول سنتهم أول الخريف وذلك عند بلوغ النيل الغاية القصوى من الرادة

ومنها أن الصبا محجوبة عنهم بجبلها الشرق المسمى المقطم فانه يستر عنها هذه الريح الفاضلة ولها نهب عليهم خالصة اللهم إلا نكبا . ولهذا اختار قدماء المصريين أن يجعلوا مستقر الملك منف ونحوها عما يعد عن هذا الجبل الشرقي الى الغربى واختار الروم الاسكندرية وتجنبوا موضع الفسطاط لقربه من المقطم فان الجبل يستر عما في لحفه أكثر مما يستر عما بعد منه . ثم ان الشمس بتأخر طلوعها عليهم فيقل في هوائهم النضج ويبقى زمانا على نهوة الليل ولذلك تجد المواضع المنكشفة للسا من أرض مصر أحسن حالا من غيرها ولكثرة رطوبتها يتسارع العفن فيها ويكثر فيها العار ويتولد من الطين والمعارب تذخر بغوص وكثيرا ماتقتل بلبسها والبق المتل والذباب والبراغيث تدوم زمانا طويلا

ومنها أن الجنوب اذا هبت عنهم في الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك كانت باردة جدا ويسموننها المديسى لمرورها على أرض المريس وهي من بلاد السودان . وسبب بردها مرورها على روك وتقاطع . والتدليل على صحة ذلك أنها اذا دامت باردة فتنزل عنها حرارتها الطبيعية وأستخت الهواء وأحدثت فيه يسا

فنقل الى مصر فصار غذاء . وقال نيقولاوس وأما اللبخ فقد كان في أرض فارس
 قاتلا فنقل الى الشام والى مصر فصار جيداً ما كولا وهو قليل غال وإنما تكون
 في اللاد منه شجرات معدودات ، وأما خشبه ففي غاية الجودة صلب حجرى
 واسود وهو عزيز ثمين وأهل مصر يحضرون اللبخ مع الفواكه والانتقال . وقال
 أبو حنيفة الدينورى اللبخ شجرة عظيمة مثل الاثاب اذا عظم ، وورقها كورق
 الجوز ولها جناحها الخاط مر اذا أكل أعطس واذا شرب عليه الماء نفخ البطن ،
 وهو من شجر الجبال ثم روى عن رجل من صعيد مصر ان اللبخ شجر عظام
 أمثال الدلب له ثمر أخضر يشبه الثمر حلوجداً الا انه كرهه جيد لوجع الاضراس ،
 قال واذا نشر ارفع نائره وينشر فيبلغ ثمن اللوح خمسين ديناراً ويجعله اصحاب
 المراكب في بناء السفن لبعض الطل ، وزعم أنه اذا ضم منه لوحان ضماً شديداً
 وجعل في الماء سنة التحما وصارا لوحاً واحداً . وأكثر ما يحكه الدينورى
 لأعرف صمته . وقال ابن سنجون اللبخ يكون بمصر وثمرته جيدة للعدة وقد
 يوجد عليه صنف من الريلاء وورقه اذا جفف قطع الدم درورا والاسهال شرباً
 وفيها قنص بين قال وأما بوى ثمره فيزعم أهل مصر أن أكله يحدث صمماً
 ومن ذلك الجوز وهو بمصر كثير جداً ورأيت منه شيئاً يسقلان والساحل
 وثأنه تين برى وتخرج ثمرته في الخشب لاثحت الورق ويحلف في السنة سعة
 بطون ويؤكل أربعة أشهر ويحمل وقرا عظيماً وقل أن يجي نأيا يصعد رجل
 الى الشجرة ومعه حديدة يسم بها حبة من السمرة فيحرى بها ابن أدهن ثم
 يسود الموضع وتحلو الثمرة بذلك الفعل . وقد يوجد منه تى شديد الحلاوة
 أحلى من التين لكنه لا يبعث في أواخر مصمه من غصم خشنه ، ما يجرته
 كبيرة كمنحية الجوز العاتية ويعرج من مرة واحدة اذا وجدت ابن أبيص اذا
 طلى على بوب أو غيره صممه أحمراً وحسه تعمر به المساكن ويتحد منه الابواب
 وغيرها من الآلات الحامية منه ماء على اللد وصر على الماء رائه من وقتها
 يتأكل هذا مع أنه حسب حسب قليل الادوية ويعد من مرة حل حادق وزيد
 ح . قال جالينوس الحيز بار رطب فيما بين البوت والثين وهو رتوى للعدة
 ر من الحراج وثمر الأرزام ويطبخ على لسم الهواء

نيقولاوس في كتاب النبات : ومن النبات ماله رائحة طيبة في بعض أجزائه ومنه مارائحته الطيبة في جميع أجزائه كاللسان الذي يكون في الشام بقرب بحر الزفت والبير التي يسقى منها تسمى ببر البلسم وماؤها عذب . وقال ابن سميون انما يوجد في زماننا هذا بمصر فقط ويستخرج دهنه عند طلوع كلب الجبار وهو الشعري وذلك في شباط ومقدار ما يخرج ما بين خمسين رطلا الى ستين ويباع في مكانه بضعفه فضة . وكانت هذه الحال قد كانت في زمن ابن سميون وحكي عبد الرازي أن بدله دهن الفجل وهذا بعيد واللسان الدهني لا يثمر وانما تؤخذ منه فسوخ فتغرس في شباط فتعلق وتنسى وانما الثمر للذكر البرى ولا دهن له ويكون بنجد وتهاه وبرارى العرب وسواحل اليمن وبأرض فارس ويسمى البشام ويربى قشره قبل استخراج دهنه فيكون نافعا من جميع السموم وأما خواصه ومنافعه فالأليق بها غير هذا الكتاب

ومن ذلك القلقاس وهو أصول بقدر الخيار ومنه صغار فالأصابع يضرب الى حمرة خفيفة يقرش ثم يشقق على مثل السلجم وهو ككيف مدنتز يشابه المرز الاخضر النعج في طعمه وفيه قبض يسير مع حرافة قوية وهذا دليل على حرافته وييسه فاذا سلق زالت حرافته جملة وحدث له مع ما فيه من القبض اليسير لزوجة مغرية كانت فيه بالقوة الا ان حرافته كانت تخفيا وتسترها ولذلك صار غذاؤه غليظاً بطيء الهضم ثقيلاً في المعدة الا أنه لما فيه من القبض والغلاصة صار مقويا للمعدة حابسا للبطن اذا لم يكثُر منه . ولما فيه من اللزوجة والتغرية صار نافعا من سحج الماء وقشره أقوى على حبس البطن من جرمة لان قبضه أشد ويطبخ في ساقية وغيرها فيعود في المرققة لزوجة يعافها من لا يتادها ولكن اذا سلق وصبت سلاقته ثم فلى بالدهن حتى يتورد فلا أس به . والعاب على مزاجه الحرارة والبطونة ويضر من حاله أنه مركب من جوهرين جوهر حار حريف يذهب بالطين وجوهر أرمي سائر ينسج بالطين . وذلك كما في البصل والتوم . وكانت كذلك فهو نبأ دواء مضروحا غذائى وقد رأيه يدمشق لكن قايلا . ورأته اذا . . . جمع خشبياً كالقسط سور . وأما وردة فورق مستدير واسع على شكل خف

ورقة قضيب مفرد في غلظ الاصبع وطول شبرين أو أزيد ونبات كل قضيب من الأصل الذي في الأرض اذ ليس لهذا النبات ساق ولا ثمر أيضاً، وورق القلقاس، شديد الخضرة رقيق البشرة شبيه بورق الموز في خضرته ونعمته وروفته وبنضارته وقال Dioscorides ان لهذا النبات زهراً على لون الورد فاذا عقد عقد شيئاً شبيهاً بالحرايب كأنه تفاحة الماء وفيه باقلى صغير أصغر من الباقل اليونانى يعلو موضعه المواضع التي ليس فيها باقلى فمن أراد ان يزرعه قائماً يأخذ ذلك الباقل ويصيره في كتل طين ويلقيها في الماء فينبت، ورغم أنه يؤكل طرياً ويابساً وأنه يعمل منه دقيق يشرب كالسويق ويعمل منه حسو فيقوى المعدة وينفع من الاسهال المرى وسحوج الامعاء. وان الشيء الاخضر الذي في وسطه المر الطعم اذا سحق وخلط بدهن وقطر في الاذن سكن وجعها. وقال الاسرائيلى أما نحن فنشاهدنا له زهراً قال ورأيت أصل هذا النبات اذا خزن في المنازل وجاء وقت نباته تفرع من الباقل اللاصق به فروع وأثبت من غير ان يظهر له زهر ولا ثمر لكن لون الباقلاء نفسها لون زهر الورد لانها حين تبرز وتأخذ في النبات يخرج ما يبرز منها حسن البياض يعلوه تورديسير. قال وما وجدنا له جفافاً يمدن معه ان يكون منه سويق ولا رأيناه السنة كلها الا رطباً مثل بصل النرجس وبصل الزعفران ويحوى. قال ولم نرى في وسطه هذا الاخضر الذي ذكره Dioscorides ولا وجدناه السنة كلها الا كالزهر الاخضر. أقول كلا بل الحق ما قاله Dioscorides وانه حتى يقل السحق ويمكن ان يتحد منه السويق وهذا رأياه عياناً وانه اذا جف لا فرق فيه وبين الزنجبيل في المنظر سوى ان القلقاس اكبر ويجد في طعمه حدة ولذعاً وأقول عن حدس صاعى مبدؤه المشاهدة والسماع ان القلقاس زنجبيل مصرى كسبته الارض رطوة فقاء حرارته وحدته كما ان الزنجبيل الزنجي

مع حدة ، ولذع يسير . وقال له آخر ان نبات الزنجبيل يشبه نبات البصل مع ان القلقاس يكون في تلك البلاد واثانه بستانى ، وقال على بن رضوان القلقاس أسرع الاغذية استحالة الى السوداء وقال غيره من أطباء مصر ان القلقاس يزيد في الباءة . وفي كل نظر لا يليق بهذا الكتاب

ومن ذلك الموز وهو كثير باليمن والهند ورأيت بالفور وبدشق مجلوبا وكونه من فراخ تظهر من أصل شجرته كما تظهر الفسلان من النخلة ، وتسمى المثمرة الام فاذا أخذت ثمرتها قطعت هى أيضا وخلفها أكبر نباتها وترتفع قامته الى قاتين واثانها نخلة لطيفة ، وزعموا أن شجر الموز في الاصل مركب من قلقاس ونوى النخل تجعل النواة في جوف القلقاسة وتغرس ، وهذا القول وان كان ساذجا من دليل يشهد له فالحس يسوغه . وذلك أنه تجد لشجرته سعفا كسعف النخل سواء إلا أنك ينبغي أن تتخيل الخوص اتصل بعصه بعض حنى صار كأنه ثوب حرير أخضر قد نشر أوراقه خضراً ترف ريا وطراة وكان الرطوبة اكتسبها من القلقاس والشكل اكتسبه من النخل ، وأنت تعلم أن تشقق سعف النخل الى الخوص انما كان من قبل اليس الغالب على مزاج النخل . ولكثرة رطوبة الموز بقى سعفه متصل الخوص ولم يتشقق . فعلى هذا يكون القلقاس له بمنزلة المادة والنخل بمنزلة الصورة . وأنت اذا تأملت خشب الموز وورقه بعد يبسه ألفت فيه تلك الشظايا والخيوط التى تجدها فى جذع النخل وسعفه إلا أنك تجدها مشوية برطوبة قد ألحمت بينها وملأت فرجها وأن كان القلقاس لا ينفك من ذلك أيضا ويتينه آكاه سقلوا وأما الثمر فانك تراه أعذاقا كأعذاق النخل قد تحمل شجرته خمسمية موزة فصاعدا ويكون فى مستهى العذق موزة تسمى الآم لبس فيها لحم ولا تؤكل واذا شقت وجدت مؤلفة من قشور داخل كل قشور منها متقابلان يحتوى كل واحد منهما على نصفها طولا وتحت كل قشر عند القاعده زهر أبيض بقدر الفستق أو كره التارنج عنده احدى عشر فى صفين لا ينقص عن هذا العدد ولا يزيد إلا واحدا نادرا فهذه القشور بمنزلة كبرى الطلم وانزهر بمنزلة الطلم نعمة وتشق هذه القشور من تلقاء أنفسها على التدرج الاعلى فالاعلى فيظهر ذلك الزهر أبيض

لطيفة موشاة ذات وجهين ألوانها أحسن الألوان وأصباغها زهر خالصة كأنها ألوان الحرير عرض الحصير منها نحو ذراعين ونصف وهو أسلة واحدة ليس فيه وصل فجعلت اعجب من طول الاسل الذي يسمى بمصر السمار ، فذكر لي أنه ليس به وإنما هو متخذ من ورق الموز الهندي بأن يؤخذ العسيب فيشقق ويجفف ثم يصنع وينسج منه هذه الحصير . ويباع الحصير منها في المعبر بدinarين وفيها ما يباع بدرهمين وأراني من كلا الصنفين

وأما المحمضات فيوجد بأرض مصر منها أصناف كثيرة لم أرها بالعراق من ذلك أترج كباريمز وجود مثله ببغداد ومن ذلك أترج حلو ليس فيه حمض ومن ذلك الليمون المركب وهو أصناف أيضاً ويوجد فيه ما هو بقدر البطيخة ومن ذلك الليمون المختم وهو أحمر شديد الحمرة أفنى حمرة من النارنج شديد الاستدارة مفلطح من رأسه وأسفله مفضوخ فيهما يتختمين

ومن ذلك ليمون البلسم وهو في قدر الإبهام وكالبيضة المطلولة ، وفيه ما هو مخروط صحيح ببتيدي . من قاعدة وينتهي الى نقطة وأما لونه وريحه وشحمه وحماضه فلا يغادر من الأترج شيئاً

وقد يوجد أترج في جوفه أترج بقشر أصفر أيضاً ، وخبرني صادق أنه وجد في جوف أترجة سبع أترجات صفار كل واحدة يحيط بها فشر تام والذي رأيته أنا أترجه في جوفها أترجة ليست تامة وقد رأيت منه شيئاً بالغور وهذا الأترج المداخل إنما يكون في ذى الحماض . ثم إن هذه الأنواع يركب بعضها على بعض فتولد منها أصناف كثيرة جداً

وهو ذلك صلب من النعاج يوجد الاسكدرية مستار واحد يسمى ستان المقطعة وهو صفار جداً قاي احرة وأما رائحة فتعوم الوصف وتناول على المسك وهو قليل جداً

وأما انقرط فيسمى بالعراق الرطبة وبالاندلس القضة والدارسية أسفدت وأما النخل فتدبر لكر اذا فيست ثمرته بمرة نحو العرق وجدت كأنها طاحت طبخة خرج بها معظم حلاوتها وبقيت ناقصة القوة . وما يسمى أهل مصر التمر وأما التمر بالعراق فيسمونه العجوة وقلبا

تجدع عندهم ما يشابه تمر العراق الا نادرا ويكون ذلك نخيلا معدودة تهدي تحفة
وأما الماش وهو المنج، فلا يزرع بمصر أصلا وانما يوجد عند الطارين مجلوبا
من الشام ويباع بالاقوى للرضى. وأما الدرة والدخن فلا يعرفان بمصر اللهم
الا بالصعيد الاعلى وخاصة الدخن

وعما تختص به مصر الافيون وهو يجتنى من الحشعاش الاسود بالصعيد وكثيرا
ما ينضه جناته وربما غشوة بالمنزرة، وعلامة الخالص منه أن يذوب في الشمس
ويقد في السراج بلا ظلة واذا طفى تكون رائحته قوية والمخشوش يسوس سريعا.
وأرسطو ينهى عن خلطه بدواء العين والاذن لانه يعمي وبهم

ومن ذلك الاقاقيا وهو عصارة ورق شجر القرظ وثمره يستخرج ماؤه بالدق
والعصر ويجعل في أوان مريحة تلتقاء الشمس حتى يغلظ ثم يقرص. هذا هو
الخالص الخاص وأمام العام الذى يجلب الى البلاد فانه يؤخذ القرظ فيطحن
ويعجن بماء الصمغ ثم يقبض ويختم ويصفى وشجرته هي السنط وتسمى الشوكة
المصربة وورقها هو القرظ بالحقيقة ويدبغ به الجلود وعصارة القرظ التى يتخذ
منها الاقاقيا تسمى رب القرظ ونساء مصر يشربن عصارتها ونقيعه للاسهال. والسنط
شجر عظام جدا له شوك كثير حديد صلب أبيض وله ثمر يسمى خروب القرظ
مدور مسطوح مشاغل لب الترمس الا أنه متصل كقرون اللوبيا وفي داخله حب
صغار. واذا اتخذ الاقاقيا من القرظ قل بال نضجه فان أكثر قبضا وأقوى على
حسن الطبيعة. واذا اتخذ مما استحکم يصحبه لم يقو على حسن الطعن وعلامته ان
يكون شديد السواد مشرق اللون. وقال الدينورى القرظ شجر عظام كشجر
الجوز وخشبه صاب بالحديد واذا قرم أسود كالاسوس وورقه يشبه ورق التفاح
وله حلة من ثوب الزبادى. حب يوضع في الموارس ويدبغ بورقه وثمره
القمي. والحل وحلة القرم آخر من عاب الطلح واذا رعمه الان
حمرت قواها وأدراها حتى أعارها فاحدها عصمرا قد جم وتسمى تايه. وما
كان من ريم بأرض مصر هو السعد وهو ذو ردرتين زيتين زباد وله برمه
سماكة ليس له رذركه رين

ومن ذلك الفصوص وهو قثا صفار لا يكبر ولا يعد وأطول له القتر وأكثره في طول الأصبع وهو انعم من القثاء وأحلى ولا شك انه صنف منه وثابه الضغائيس فاما القند وهو الخيار

ويوجد بمصر بطيخ يسمى العبدلى والعبدلاوى ، قبل أنه نسب إلى عبداقه ابن طاهر وإلى مصر عن المأمون . وأما المزارعون فيسمونه البطيخ الديميرى منسوب إلى دميصة قرية بمصر وله أعناق ملتوية وقشره خفيف وطعمه مسخ قلبا يوجد فيه حلو ويندر فيه ما وزنه ثلاثون رطلا وأكثر . والغالب عليه ما بين رطل إلى عشرة أرباط ، وأهل مصر يستطيعونه على البطيخ المولد المسمى عندهم بالخراساني والصيني ويزعمون أنه نافع ، ويأطونه بالسكر وطعمه أشبه تى . بالصنف المسمى بالعراق الثلثى لكنه ألد منه وانعم وشكله وشكل يقطين العراق إلا ان لونه حسن الصفرة جداً وفي ملمسه حراشه وتخييش وصفاره قبل أن تبلغ تكون طون يقطين وشكله وكطعم القثاء لما يطون وأعناق وتباع بالفصوص وتسمى العجور ، وأخبرني مزارعه أن العادة جارية بأن ينقى حقله كل يوم فميرى مزارعه أن يقطعه صغيراً أخضر قطعه وباعه بالعجور وما يرى أنه يتركه حتى يكبر ويلين ويصفر كان منه البطيخ العبدلى وقلبا تجدد في بطيخ مصر ما هو صادق الحلاوة لكنه لا يوجد فيه مدود ولا فاسد بل القالب عليه التفاهة المائية . وجميع أصناف البطيخ بها يباع بالميزان سوى البطيخ الأخضر . وأما البطيخ الأخضر فانه يسمى بالغرب الدلاع وبالشام البطيخ الرتنى وبالعراق البطيخ الرقى ويسمى أيضاً العلسطى والهندي وأما يقطين الذى يقصره الجهور على الدباء فيكون بمصر مستطيلاً وفي شكل القثاء ويلين في طوله إلى درعين وفي قصره إلى ثير . وأما الباقل الأخضر المسمى عندهم بالفول فانه يتواصل نحو ستة أشهر وكذلك الورد والباسمين يدوم جميع السنة ولا يزال شجرته مزهرة ومنه أبيض وأصفر والأبيض أكثر وأعطر ومنه يتخذ دهن الزنبق بدمياط خاصة وكذلك الليمون وأما يقل ويكثر فقط . والسفسج بمصر عطر جداً لكن لا يحسبون انمازده ولا معجونه . والسمرجل بمصر ردى جداً صغير عفص

قال . وأما تفاسيحها فلا بأس به وإن كان رديا . وأما رمانها فغاية الجودة إلا أنه ليس بصادق الحلاوة

وأما القراسيا فلا يوجد بمصر بل بالشام وبلاد الروم وغيرها . وإنما بمصر صنف من الأجااص صفار حامض يسمونه القراسيا ومثل هذا الصنف بدمشق يسمونه خوخ الدلب لأن الأجااص بالشام يسمى خوخا والخوخ دراقنا والكثيرى أجااصاً

وبما يكثر بمصر شجر خيار شبر وهو شجر عظام شبيه بشجر الخروب الشامى وزهره كبير أصفر ناضر ذوروا . وبهجة فاذا عقد تدل ثمره بالمقارع الخضر . وبها شجر اللوز . والسدر بها كثير وثمره النبق حلوجداً ، والنيل يكثر بها ولكنه دون الهندى

الفصل الثالث

فيا تختص به من الحيوان

من ذلك حضنة الفرايج بالزبل فانه فلما ترى بمصر فراريج عن حضان الدجاجة وربما لم يفرقه أيضاً وإنما ذلك عندم صناعة ومعيشة يتجر فيها ويكتسب منها وتعد في كل بلد من بلادهم مواضع عدة تعمل ذلك . ويسمى الموضع محل الفروج وهذا المحل ساحة كبيرة يتخذ فيها من البيوت التي يأق ذكرها ما بين عشرة آيات الى عشرين بيتاً في كل بيت ألفا بيضة ويسمى بيت الترقيد . وصفته ان يتخذ بيت مربع طوله ثمانية أشبار في عرض ستة في ارتفاع أربعة ويجعل له باب في عرضه سعته شبران وعقد في مثله ويجعل فوق الباب طاقة مستديرة قطرها شبر ثم تسقف بأربع خشبات وفوقها سدة قصب يعنى نسيجا منه وفوقه ساسى وهو مشاة اللنان وحطبه . ومن فوق ذلك العين ثم يرصص الطوب ويطين سائر البيت ظاهره وباطنه وأعلىه وأرضه حتى لا يخرج منه بخار ويعنى ان يتخذ في وسط تسقف سداً سم سم في شبر فهدا السقف يعنى صراده جاج . ويتخذ حوضين من حليخ انمخر بساس طول الحوض ستة

أشبار وعرضه شبر ونصف وسمكة عقدة أصبع وحيطانه نحو أربع أصابع .
ويكون هذا الحوض لوأما واحدا تبسطه على أرض معتدلة . وهذا الحوض يسمى
الطاجن فإذا جف الطاجنان ركبتهما على طرف السقف أحدهما على وجه الباب
والآخر قبالة على الطرف الآخر تركيبا محكما وأخذت وصولهما بالطين أخذاً
متفقاً وينبغي أن يكون قعود الطاجنين على خشب السقف بحيث يماسانه . وهذا
الطاجنان تحاكي بهما جناحا الدجاجة ثم يفرش البيت بقفّة تبين ويمهد ويفرش
فوقه ضب أو دبس يعنى حصيرا برديا على مقداره سواء ثم يرصف فوقه البيض
رصفا حسنا بحيث يتماس ولا يتراكب لتواصل الحرارة فيه ومقدار ما يسمع
هذا البيت ، المفروض الفا بيضة وهذا الفعل يسمى الترقيد ضقة الحصانة تبتدىء
وتسد الباب بأن ترسل عليه لبدا مهنما ثم تسد الطاقة بساسى والشباك أيضاً
بساسى وفوقه زبل حتى لا يبقى فى البيت متفس للبخار . وتلقى فى الطاجنين من زبل
البقر اليابس قفتين وذلك ثلاث ويات وتوقد فيه نار سراج من جميع جهاته وتهمله
ربما يرجع رمادا وانت تتفقد البيض ساعة بعد أخرى بأن تضعه على عينك ،
وتعتبر حرارته وهذا الفعل يسمى الزواق فان وجدته يلذع العين قلبته ثلاث
تقبليات فى ثلاث دفعات تجعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله . وهذا يحاكي تقليب
الدجاجة للبيضة بمنقارها وتفقدوها اياها بعينها وهذا يسمى السماع الاول ، فاذا
صار الزبل رماداً أزله وترثه بلا نار الى نصف النهار ان كان ترقيده بكرة .
وان كان ترقيده من أول الليل حرسته الى ان تحمى وتسم النار بالسباقة المتقدمة
ثم تخلى الطاجنين من النار الى بكرة ثم تجعل فى الطاجن الذى على باب البيت
من الزبل ثلاثة أقداح وفى الطاجن الذى على صدر البيت قدحين ونصفا ومد
الزبل بمروء غليظ وأطرح فى كل منهما النار فى موضعين منه ولما خرجت من
البيت بعد تفقده فارخ السر ، وأياك وان تغفل عنه لثلا يخرج البخار ويدخل
الهواء فيفسد العمل واذا كان وقت العشاء وصار الزبل رمادا ونزل الدفء الى
البيض أسفل البيت فغير الرماد من الطاجن بزبل جديد مثل الاول وانت كل
وقت تلبس البيض وتزوقه بعينك فان وجدت حرارته زائدة عن الاعتدال تلذع

العين فاجعل مكان الثلاثة الاكيال الطاجن الباب كيلين وربما وفي طاجن الصدر كيلين فقط ولا تزال تواصل تغيير الرمد وتجديد الزبل والايقاد حتى لا ينقطع الدفء مدة عشرة أيام بمقدار ماتكمل الشخوص بمشيئة الله وقدرته ، وذلك نصف عمر الحيوان ، ثم تدخل البيت بالسراج وترفع البيض واحدة واحدة وتقيمها بينك وبين السراج ، فالتى تراها سوداء ففيها الفرخ والتى تراها شبه شراب أصفر في زجاج لا عكر فيه فهى لاح بلا بذر وتسمى الارملة فاخرجها فلا منفعة فيها ، ثم عدل البيض في البيت بعد تنقيته وأخرج اللاح عنه وهذا الفعل يسمى التلويح . ثم تصبح بعد التلويح تنقص الزبل من العيار الاول ملء كفك من كل حوض بكرة ومثله عشية حتى ينصرم اليوم الرابع عشر ولم يبق من الزبل شيء ، فحينئذ يكمل الحيوان ويشعرن ويتفتح ، فاقطع اذ النار عنه فان وجدته زائد الحرارة يحرق العين فافتح الطاقفة التى على وجه الباب وابقها كذلك يومين ثم ذقه على عينك فان وجدته غالب الحرارة فافتح نصف الشباك وانت مع ذلك تقلبه وتخرج البيض الذى في الصدر الى جهة الباب والبيض الذى في جهة الباب ترده الى الصدر حتى يحمى البارد الذى كان في جهة الباب ويستريح الجار الذى في الصدر يشم الهواء فيصير في طريقة الاعتدال ساعة يحمى وساعة يبرد ، فيعتدل مزاجه وهذا الفعل يسمى الحضانة كما يفعل الطير سواء ، وتستمر على هذا التدبير دفعتين في النهار ودفعة في الليل الى تمام تسعة عشر أيضا فان الحيوان ينطق في البيض بقدره الله تعالى وفي يوم العشرين يطرح بعضه ويكسر القشر ويخرج وهذا يسمى التطريح وعند تمام اثنين وعشرين يوما يخرج جميعه ، وأحدا الاوقات لعمله أمشيروبرمهات وبرمودة . وذلك في شباط واذار ويسان . لان البيض في هذه المدة يكون غزير الماء كثير البذرة صحيح المزاج والزمان معتدل صالح للنشأة والتكوين وينبغى أن يكون البيض طريا وفي هذه الاشهر يكثر البيض ايضا ومن ذلك الخير . والخير بمصر فارهة جداً ، وتركب بالسروج وتجرى مع الخيل والبقول شغيفة ومنها تسبقها ، وهى مع ذلك كثيرة العدد ومنها ما هو غال بحيث اذ ركب سرج اختلط مع نبغلات ، يركه رؤساء اليهود والبصاري وبلغ تمن واحد ما عشرين يسرا الى أربعين

وأما بقرهم فعظيمة الخلق حسنة الصور، ومنها صنف هو أحسنها وأغلاها قيمة يسمى البقر الخنسية وهي ذوات قرون لأنهما القسي غريزات الثين وأما خيلها فعتاق سابقة ومنها ما يبلغ ثمنه ألف دينار إلى أربعة آلاف، وهم ينزون الخيل على الحمير والحمير على الخيل فتأني البغلة وأما أتان ولكن هذه البغال لا تكون عظيمة الخلق تأتي أمهاتها مهورة لأن الأم هي التي تعطى المادة

ومن ذلك التماسيح . والتماسيح كثيرة في النيل وخاصة في الصعيد الأعلى وفي الجنادل فإنها تكون في الماء وبين صخور الجنادل كالسود كثرة وتكون كباراً أو صفاراً، وتنتهي في الكبر إلى نيف وعشرين ذراعاً طولاً، وتوجد في سطح جسده مما يلي بطنه سلعة بالبيضاء تحتوي على رطوبة دموية وهي كنانة المسك في الصورة والطيب، وخبرني الثقة أنه يندر فيها ما يكون في غلو المسك لا ينقص عنه شيئاً والتماسيح بيضاء شيئاً ببيض الدجاج، ورأيت في كتاب منسوب إلى أرسطو ما هذه صورته، قال التماسيح كبده تهيج الجماع وكليتاه وشحمه في ذلك أبلغ ولا يعمل في جلده الحديد ومن فقار رقبة إلى ذنبه عظم واحد ولهذا إذا انقلب على ظهره لم يقدر أن يرجع، قال ويبيض أيضاً طويلاً كالوز ويدفنه في الرمل فإذا أخرج كان الحراذين في جسمها وخلقتها ثم يعظم حتى يكون عشرين أذرعاً ويبيض ستين بيضة لأن خلقته تجري على ستين سنة وستين عرقاً وإذا سجد من ستين مرة وقد يعيش ستين سنة

ومن ذلك الدلفين ويوجد في النيل وخاصة قرب نينس ودمياط ومن ذلك الاسقنقور ويكون بالصعيد وأسوان كثيراً ويكون من نتاج التماسيح في البر، وهو صنف من الورل بل هو ورل إلا أنه قصير الذنب. والورل والتماسيح والحردون والاسقنقور وسميكة صيداً لها كلها شكل واحد وإنما تختلف بالصغر والكبر والتماسيح أعظمها وسميكة صيداً أصغرها تكون بقدر الاصبع وتصلح لما يصلح له الاسقنقور من تسخين الاعضاء والانعاط. وكان التماسيح ورل بحري والورل تماسيح برى والجميع يبيض أيضاً. الاسقنقور يكون بشطوط النيل ومعيشته في البحر السمك الصغير وفي البر القطا ونحوه. ويستترط غذاءه استراطاً

وأهل الناس في قتلها كل حيلة من نصب الحبال الوثيقة وحشد الرجال بأصناف السلاح وغير ذلك فلم يجد شيئاً ، فاستدعى بنفر من المريس صنف من السودان زعموا أنهم يحسنون صيدها وأنها كثيرة عندهم ومعهم مزاريق فتوجهوا نحوها فقتلوها في أقرب وقت وباهون سعى وأتوا بها الى القاهرة فشاهدتها وجدت جلدتها أسود أجرد تخيلاً وطولها من رأسها الى ذنبها عشر خطوات معتدلات وهي في غلظ الجاموس نحو ثلاث مرات وكذلك رقبتها ورأسها وفي مقدم فيها اثنا عشر ناباً ستة من فوق وستة من أسفل المتطرفة منها نصف ذراع زايد والمتوسط أنقص بقليل وبعد الانياب أربعة صفوف من الاسنان على خطوط مستقيمة في طول الفم في كل صف عشرة كأمثال بيض الدجاج المصطف صفان في الأعلى وصفان في الأسفل على مقابليهما وإذا فتر فورها وسع شاة كبيرة وذنبها في طول نصف ذراع زائد أصله غليظ وطرفه كالاصبع ، أجرد لأنه عظم شبيه بذنب الورل وأرجلها قصار طولها نحو ذراع وثلث ولها شبه بخف البعير ، الا أنه مشقوق الاطراف بأربعة أقسام وأرجلها في غاية الغلظ وجملة جثتها كأنهم مركب مكبوب لعظم منظرها . وجملة هي اطول وأغلظ من الفيل الا ان أرجلها أقصر من أرجل الفيل بكثير ولكن في غلظها أو أغلظ منها

ومن ذلك السمكة المعروفة بالرعاد لأنه من أسسها وهي حية ارتعد رعدة لا يمكنه معها ان يتهاك ، وهي رعدة بقوة وخدر شديد وتتملى في الاعضاء وتقل بحيث لا يقدر ان يملك نفسه ولا ان يمسك بيده شيئاً أصلاً ويتراقى الخدر الى عضده وكتفه والى جنبه بأسره حين ما يلبسها أيسر لسر في أسرع وقت . وخبرني صيادها أنها اذا وقعت في الشكة أعتري الصياد ذلك اذا نبي بدنها وبينه مقدار شبر او أكثر من غير ان يضع يده عليها وهي اذا ماتت نطلت هذه الخاصة منها . وهي من السمك الذي لا تغليس له ولحمه قليل الشوك كثير الدسم ولها جلد تخين في تخين الاصبع ينسلخ منها بسهولة ولا يمكن أكله ويوجد فيها الصغير والكبير ما بين رطل الى عشرين رطلاً وذكر من يكثر الساحة بواحيها أنها اذا مست بدن السائح خدر الموضع أين كان ساعة ، بحيث يكاد يسقط . وتكثر بأسافل الارض وبالاكندرية

وأما أصناف السمك عندهم فكثيرة لانه يجتمع اليهم سمك النيل وسمك البحر المالح ولا ينفى القول بنعتها لكثرة أصنافها واختلاف أشكالها وألوانها ومنها الصنف المسى عندهم ثعبان الماء وهى سمكة دالية سواء طولها ما بين ذراع الى ثلاث أذرع، ومنها السرب وهى سمكة تصاد من بحر الاسكندرية يحدث لاكلها أحلام ردية مفزعة، ولا سيما الغريب ومن لم يعتدها والاحداثات المضحكة فيها مشهورة

ومن ذلك الترسه وتسمى لجاة وهى سلحفاة عظيمة وزنها نحو أربعة قناطير إلا ان جفتها أغنى عظم ظهرها فالترس له أغاريز خارجة عن جسمها نحو شبر، ورأيتها بالاسكندرية يقع لحما وبياع كلحم البقر فى لحما ألوان مختلفة ما بين أخضر وأحمر وأصفر وأسود وغير ذلك من الألوان وتخرج من جوفها نحو أربع مائة بيضة كبيض الدجاج سواء إلا أنه لين القشر واتخذت من بيضها عجة فلما جمد صار ألوانا ما بين أخضر وأحمر وأصفر شديداً بألوان اللحم، ومن ذلك السرلينس وهو صدف مستدير الى الطول أكبر من الظفر ينشق عن رطوبة غاطية بيضاء ذات نكتة سوداء يعاقها الناظر وفيه ملحوظة عذبة زعوا وبياع بالليل.

الفصل الرابع

فى اختصاص ما تشاهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد بمصر من الآثار القديمة فشيء لم ار ولم اسمع بمثله فى مثلها فاقصر على اعجب ما شاهدته
فمن ذلك الاهرام وقد اكثر الناس من ذكرها ووصفها ومساحتها وهى كثيرة العدد جداً وكلها بين الجيزة وعلى سمت مصر القديمة وتمتد فى نحو مسافة يومين وفى بوسير منها تى كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس، وقد كان منها بالجيزة عدد كثير لكنها صغار فهدمت فى زمن صلاح الدين يوسف بن ايوب على يدى قراقوش بعض الامراء وكان خصياً رومياً سامى الهمة فكان يتولى عمائر مصر وهو الذى بنى السور

من الحجارة محيطة بالفسطاط والقاهرة وما بينهما وبالقلعة التي على المقطم ، وهو ايضا الذي بنى القلعة وانبط فيها البيرين الموجودتين اليوم ، وهما ايضا من العجايب وينزل اليهما بدرج نحو ثلثماية درجة ، واخذ حجارة هذه الاهرام الصغار وبنى بها القناطر الموجودة اليوم بالجيزة وهذه القناطر من الابنية العجيبة ايضا ومن اعمال الجبارين وتكون نيفا واربعين قنطرة . وفي هذه السنة وهي سنة سبع وتسعين وخمسمائة تولى امرها من لا بصيرة عنده فسد بها رجاء ان يحتبس الماء فيروى الجيزة فقويت عليها جرية الماء فزلزلت منها ثلاث قناطر وانشقت ، ومع ذلك فلم يرو ما رجاء ان يروى . وقد بقي من هذه الاهرام المهذومة قلبها وحشوتها وهي ردم وحجارة صغار لا تصلح للقناطر فلاجل ذلك تركت

واما الاهرام المتحدث عنها المشار اليها الموصوفة بالعظم فثلاثة اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط ، وبينها مسافات يسيرة زواياها متقابلة نحو الشرق واثنان منها عظيمان جدا وفي قدر واحد وبها اولع الشعراء وشبهوهما بنهدين قد نهذا في صدر الديار المصرية وهما متقاربان جدا ومبنيان بالحجارة البيض . واما الثالث فينقص عنهما بنحو الربع لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد الصلابة ولا يؤثر فيه الحديد الا في الزمن الطويل وتجده صغيرا بالقياس الى ذينيك . فاذا قربت منه وافردته بالنظر هالك مرآه وحسر الطرف عند تأمله ، وقد سلك في بناء الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على عمر الزمان بل على عمرها صير الزمان . فمالك اذا تبعتها وجدت الازدهان الشريفة قد استهلك في العقول الصافية قد افرغت عليها مجيها والافس الزيرة قد افاضت عليها اترف ما عندها لها والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل مثلا هي غاية امكها حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتتعلق عن علومهم واذهانهم وترجم عن سيرهم واخبارهم وذلك ان وضعها على شكل مخروط ببندى من قاعدة مربعة وينتهي الى نقطة . ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله في وسطه وهو يتساند على نفسه ويتواقع على ذاته ويتحامل بعضه على بعض فليس له حبة اخرى خارجة عنه يتساقط عليها . ومن عجيب وضعه انه شكل مربع قد قوبل بزوايا ٥٠ . اب . الرياح الاربعة فان الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية

وليست كذلك عند ما تلقى السطح ، ولانرجع الى ذكر الحرمين العظيمين فان المساح ذكروا ان قاعدة كل منها اربع مائة ذراع طولاً في مثلها عرضاً ، وارتفاع عمودها اربع مائة ذراع وذلك كله بالذراع السوداء . وينقطع المخروط في اعلاه عند سطح مساحته عشر اذرع في مثلها واما الذى شاهدته من حالها فان رامياً فان معنا رى سهماً في قطر احدهما وفي سمكة فسقط السهم دون نصف المسافة . وخبرنا ان في القرية المجاورة لها قوما قد اعتادوا اريقاء الحرم بلا كلفة فاستدعينا رجلاً منهم ورضخنا له بشيء فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدنا في الدرج بل أسرع ورقى بنعليه وأتوا به وكانت سابقة كنت أمرته أنه إذا استوى على سطحه قاسه بعمامته فلما نزل ذرعنا من عمامته مقدار ما كان قاس فكان احدى عشرة ذراعاً بذراع اليد ، ورأيت بعض أرباب القياس قال ارتفاع عمودها ثلثية ذراع ونحو سبعة عشر ذراعاً يحيط به أربعة سطوح مثلثات الاضلاع طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع وستون ذراعاً . وأرى هذا القياس خطأً ولوجعل العمود اربع مائة ذراع لصح قياسه . وان ساعدت المقادير توليت قياسه بنفسى وفي أحد هذين الحرمين مدخل يلجج الناس يقضى بهم الى مسالك ضيقة واسراب متفاداة وآبار ومهالك وغير ذلك مما يحكيه من يابجه ويتوغلّه ، فان ناساً كثيرين لم يرام به وتخل فيه فيوغلون في أعماقه ولا بد ان ينتهوا الى ما يعجزون عن سلوكه ، وأما المسلوكة فيه المطروق كثيراً فزلاقه تفضى الى اعلاه فيوجد فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر . وهذا المدخل ليس هو الباب المتخذ له في اصل البناء وانما هو منقوب تقاً صودف اتفاقاً ، وذكر ان المأمون هو الذى فتحه وحل من كان معنا ولجوا فيه وصعدوا الى البيت الذى في اعلاه فلما نزلوا حدثوا عظيم ما شاهدوا وأنه مملوء بالخفافيش وأبوالها حتى يكاد يمنع السالك ويعظم فيها الخفافش حتى يارت في ثمر الخمام وفيه طبقات . ورواياته نحو اعلاه وكانت جعلت مسالك لريح وسافذ الضوء وولجته مرة اخرى مع جماعة وبلغت نحو تلقى المسافة فاضى على من غوى المصنم فرجعت برمق

وهذا لأعرام مدينة بحجارة جافية يكون طول البحر منها ما بين عشر اذرع الى عشرين ذراعاً وسمكة ما بين ذراعين الى ثلاث رعرضه نحو ذلك والعجب في

وضع الحجر بهندام ليس في الامكان اصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل ابرة ولا خلل شعرة وبينهما طين كانه الورقة لا أدري ماصفته ولا ماهو. وعلى تلك الحجارات كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم أجد بديار مصر من يزعم أنه سمع بمن يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جداً حتى لو نقل ما على الهرمين فقط الى صحب لكانت زهاء عشرة آلاف صحيفة وقرات في بعض كتب الصابئة القديمة أن أحد هذين الهرمين هو قبر اغاذيمون والآخر قبر هرميس ويزعمون انها نبيان عظيمان وان اغاذيمون اقدم واعظم

وأنه كان محج اليهما وبهوى محوهما من أقطار الارض، وقد وسعنا القول في المنقول من الكتاب الكثير فن أراد التوسعة فعليه ، فان هذا الكتاب مقصور على المشاهد

وكان الملك العزيز عثمان بن يوسف لما استقل بعد أبيه سول له جملة أصحابه أن يهدم هذه الاهرام فبدأ بالصغير الاحمر وهو ثالثة الأثافي فأخرج اليه الحلبية والنقابين والحجارين وجماعة من عظماء دولته وأمرأه ملكته وأمرهم يهدمه وولكلهم بخراجه نعيموا عندهما وحشروا عليها الرجال والصناع ووفروا عليهم النفقات وأقاموا نحو ثمانية أشهر يخيلهم ، رجلهم يهدمون كل يوم بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع الحجر والحجرين ، قوم من فوق يدفعونه بالاسافين والإغمال ، وقوم من أسفل يجذبونه بالقلوس والاشطان فاذا سقط سمع لهوجة عظيمة من مسافة بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الأرض ويغوص في الرمل فيتمعون تبعاً آخر حتى يخرجوه ثم يضربون فيه الاسافين بعد ما ينقون لها موضعاً ويبثونها فيه فيقطع قطعاً فتسحب كل قطعة على العجل حتى تأتي في ذيل الحبل وهي مسافة قريبة فلما طال تواؤمهم ونفدت مقاتهم وبضاعف نصيبهم ووهت عظامهم وحارت قواهم كفوا محصورين مدمومين لم يبالوا بنية ولا بلغوا غاية من كانت غايتهم ان تسوها الهرم وأبأوا عن عجز وفشل . وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين وحس مائة . ومع ذلك فان الروائي لحجارة الهدم يفتن أن الهرم قد استوصل قاد ، حين الهرم طن أنه لم يهدم منه شيء . واما جانب قد كشط بعضه . . . شاهدت المشقة التي يجذبونها في هدم كل حجر سألت مقدم الحجارين كذا أنهم ، بار على أن تردوا حجراً واحداً الى مكانه وهندامه .

هل بان يمكنكم ذلك فاقسم بالله تعالى أنهم ليعجزون عن ذلك ولو بذل لهم اضعافه وبازاء الاهرام من الصفة الشرقية مغاير كثيرة العدد كبيرة المقدار حقيقة الاغوار متداخلة وفيها ماهو ذو طبقات ثلاث وتسمى المدينة حتى لعل الفارس يدخلها برعته ويتخللها يوما أجمع ولا ينهبها لكثرتها وسعتها وبعدها، ويظهر من حالها أنها مقاطع حجارة الاهرام، وأما مقاطع حجارة الصوان الاحمر فيقال أنها بالقلم وبأسوان. وعند هذه الاهرام آثار أبنية جارية ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك شيئا ألا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول

وعند هذه الاهرام بأكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميه الناس أبا الهول

ويرعون ان جثته مدفونة تحت الارض ويقتضى المقياس ان تكون جثته بالنسبة الى رأسه سبعين ذراعا، وفي وجهه حرة ودهان أحمر يلحم عليه رونق الطراية وهو حسن الصورة مقبولا عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما، وسألني بعض الفضلاء ما أعجب مارأيت، فقلت تناسب وجه أبي الهول فان أعضاء وجهه بالأنف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، فان أنف العفل مثلا مناسب له وهو حسن به حتى لو كان ذلك الأنف لرجل بان مشوها به، كذلك لو كان أنف الرجل للصبي لتشوهت صورته وعلى هذا سائر الاعضاء فكل عضو ينبغي أن يكون على مقدار وهيئة بالقياس الى تلك الصورة وعلى نسبتها فان لم توجد المناسبة تشوهت الصورة. والعجب من مصوره كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضاء مع عظمها وانه ليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه وينقله

ومن ذلك الآثار التي بعين تمش وهي مدينة صغيرة يشاهد سورها محدة بها مهدوما ويظهر من أمرها أنها قد كانت بيت عبادة وفيها من الاصنام الهائلة العظيمة لشكر من نحيت الحجارة يكون طول النصب زهاء ثلاثين ذراعا وأعضاؤه على تلك النسبة من العظم وقد كان بعض هذه الاصنام قائما على قواعد وبعضها قاعدا بنصبات غريبة رائعة، تلك المحكمة راب اندية موجود الى اليوم وعلى مقام تلك حجارة تصاوير اسرار رديرة من حيران وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما

يرى حجراً غفلاً من كتابة أو نقش أو صورة، وفي هذه المدينة المملكتان المشهورتان وتسميان مسلتى فرعون وصفة المسلة ان قاعدة مربعة طولها عشر أذرع في مثلها عرضاً في نحوها سمكا قد وضعت على أساس ثابت في الارض ثم أقيم عليها عمود مربع ينيف طوله على مائة ذراع يبتدىء من قاعدة لعل قطرها خمس أذرع وينتهى الى نقطة، وقد لبس رأسها بقلنسوة نحاس الى ثلاث أذرع منها فالقمع وقد تزجر بالمطربوط المدة أخضر وسال من خضرته على بسيط المسلة، والمسلة كلها عليها كتابات بذلك القلم ورأيت احدى المسلتين وقد خرت وانصدعت من نصفها لعظم الثقل وأخذ النحاس من رأسها ثم ان حولها من المسال شيئاً كثيراً لا يحصى عددها مقاديرها على نصف تلك العظمى أو ثلثها وقلها تجد في هذه المسال الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصاً بعضها على بعض وقد تهدم أكثرها وانما بقيت قواعدها ورأيت بالاسكندرية مسلتين على سيف البحر في وسط العمارة أكبر من هذه الصغار وأصغر من العظيمتين

وأما البراني بالصعيد فالحكاية من عظمها واتقان صنعها وأحكام سورها ومعجائب ما فيها من الاشكال والنقوش والتصاوير والخطوط مع أحكام البناء وجفاء الآلات والاحجار مما يفوت الحصر وهي من الشهرة بحيث تفنى عن الاطالة في الصفة

ورأيت بالاسكندرية عمود السوارى وهو عمود أحمر منقط من الحجر المائمه السوان عظيم الغلظ جداً شاق الطول، لا يبعد ان يكون طوله سبعين ذراعاً وقطره خمس أذرع وتحت قاعدة عظيمة تناسبه وعلى رأسه قاعدة أخرى عظيمة وارتفاعها عليه يهندم يفترق الى قوة في العلم برفع الانتقال وتمهر في الهندسة العملية وخبرني بعض الثقات أنه قال دوره فكان خمساً وسبعين شبراً بالشبر التام

ثم انى رأيت بشاطئ البحر مما يلي سور المدينة أكثر من أربع مائة عمود مكسرة انصافاً واثلاثاً حجرها من جنس حجر عمود السوارى على الثلث منه أو الربع، وزعم أهل الاسكندرية قاطبة انها كانت منتصبة حول عمود السوارى وان بعض زلاة الاسكندرية واسمه قراجا كان والياً عن يوسف بن أيوب فرأى هدم

هذه السواري وتكسيها وألقاها بشاطئ البحر زعم أن ذلك يكسر سورة الموج عن سور المدينة أو أن يمنع مراكب العدوان تستند إليه وهذا من عبث الولدان ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة

ورأيت أيضاً حول عمود السواري من هذه الأعمدة بقايا صالحة بعضها صحيح وبعضها مكسور ويظهر من حالها أنها كانت مسقوفة والأعمدة تحمل السقف وعمود السواري عليه قبة هو حاملها وأرى أنه الرواق الذي كان يدرس فيه أرسطو طاليس وشيعته من بعده وأنه دار العلم التي بناها الاسكندر حين بنى مدينته وفيها كانت خزانة الكتب التي أحرقها عمرو بن العاص بأذن عمر رضى الله عنه

وأما المنارة فحالتها مشهور يغني عن وصفها وذكر ذوالعناية أن طولها مائتا ذراعاً وخمسون ذراعاً

وقرأت بخط بعض المحصلين أنه قاس العمود بقاعدته فكان اثنتين وستين ذراعاً وسدس ذراع وهو على جبل طوله ثلاث وعشرون ذراعاً ونصف ذراع فصارت جملة ذلك خمسا وثمانين ذراعاً وثلاثي ذراع وطول القاعدة السفلى اثنتا عشرة ذراعاً وطول القاعدة العليا سبع أذرع ونصف ذراع ، وقاس أيضاً المنارة فوجدناها مائتي ذراع وثلاثاً وثلاثين ذراعاً وهي ثلاث طبقات الطبقة الأولى مربعة وهي مائة ذراع واحد وحشرين ذراعاً والطبقة الثانية مربعة وطولها إحدى وثمانون ذراعاً ونصف ذراع والطبقة الثالثة مدورة وطولها إحدى وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع وفوق ذلك مسجد ارتفاعه نحو عشر أذرع

ومن ذلك الآثار التي بمصر القديمة وهذه المدينة بالجيزة فوق الفسطاط وهي منف التي كان يسكنها الفرعنة وكانت مستقر ملكة ملوك مصر ، وإياها عني بقوله تعالى عن موسى عليه السلام « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، وبقوله تعالى « فخرج منها خائفاً يترقب » ، لأن مسكنه عليه السلام كان بقرية بالجيزة قريبة من المدينة تسمى دموة وهما اليوم دير لليهود ، ومقدار خرابها اليوم مسيرة نصف يوم في نحوه وقد دُنت عامرة في زمن إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام وقبلهم ثمانية أعشار ، انتهى وعدني إلى زمن بخت نصر أنه أحرق ديار مصر وبقيت شبراً حراً ، ثم أعيدت سنة وسبعمائة للهجرة ، فبناها بهم من اليهود ، حين التجأوا

الى مصر ولم يمكن منهم بخت نصر فقصده بخت نصر واباد دياره . ثم جاء الاسكندر بعد ذلك واستولى عليهم وعمر بها الاسكندرية وجعلها مقر الملك ولم تول على ذلك الى أن جاء الاسلام ففتحت على يد عمرو بن العاص وجعل مقر الملك بالقسطنطين . ثم جاء المهر من المغرب وبنى القاهرة وجعلها مقر الملك الى اليوم . وقد ذكرنا ذلك مشروحا مفصلا في الكتاب الكبير . ولنرجع الى وصف منب المسماة مصر القديمة فهذه المدينة مع سعتها وتقادم عهدها وتداول الملل عليها واستئصال الامم أياها من تعبة آثارها ومحور سومها ونقل حجارتها وآلاتها وافساد ابنتها وتشويه صورها ، مضافا الى ما فعلته فيها اربعة آلاف سنة فصاعدا تجد فيها من العجائب ما يفوت فهم العقل المتأمل ويحسر دون وصفه البليغ اللسان ولها زده تأملا زادك عجا وكلما زده نظرا زادك طربا ومهما استنبطت منه معنى أنباك بما هو اغرب ومهما استثرت منه علما ذلك على ان وراه ما هو اعظم

فن ذلك البيت المسمى بالبيت الاخضر ، وهو حجر واحد تسع أذرع ارتفاعا في ثمان طولاً في سبع عرضاً قد حفر في وسطه بيت قد جعل سمك حيطانه وسقفه وأرضه ذراعين والباقي فضاء البيت ، وجميعه ظاهراً وباطناً منقوش وصور ومكتوب بالقلم القديم ، وعلى ظاهره صورة الشمس مما بلى مطلعها وصور كثير من الكواكب والافلاك وصور الناس والحيوان على اختلاف من النصبات والهيئات فن بين قائم وماش وماد رجله وضامها ومشمم الخدمة وحامل آلات ومشير بها ، ينفي ظاهر الأمر أنه قصد بذلك محاكاة أمور جليلة وأعمال شريفة وهيأت فاضلة وأشارات الى أسرار غامضة وانها لم تتخذ عتاً ولم يستفرغ في صنعها الوسع لمجرد الزينة والحسن ، وقد كان هذا البيت ممكنا على قواعد من حجارة الصوان العظيمة الوثيقة خفر تحنها الجبهة والحق طمعاً في المطالب فتغير وضعه وحسنه وهدامه واختلف مركز ثقله وتقل بعضه على بعض فتصدع صدوعا طليقة يسيرة . وهذا البيت قد كان في هيكل عظيم مني بحجارة عاتية جافية على أثنى هدام وأحكم صنعة وفيها قواعد على عمد عظيمة . وحجارة الهرم متواصلة في جميع أقطار هذا الخراب ، وقد بقي في بعضها حيطان مائلة بتلك الحجارة منقوشة وفي بعضها أساس وفي بعضها أطلال ورأيت عند باب شاهقاً ركنه من

الهندام المحكم والوضع المتقن قد حفر بين الحجرين منها نحو شبر في ارتفاع أصبعين وفيه صدأ النحاس وزنجره فملت أن ذلك قيود لحجارة البناء وتوثيق لها ورباطات، بينها بابان يحمل بين الحجرين ثم يصب عليه الرصاص وقد تتبعها الاندال المفرورون فقلعوا منها ما شاء الله تعالى وكسروا لأجلها كثيراً من الحجارة حتى يصلوا إليها ولعمري الله قد بذلوا الجهد في استخلاصها وأبأنوا عن تمكن من اللؤم وتوغل في الحساسة. وأما الأصنام وكثرة عددها وعظم صورها فأمر يفوت الوصف ويتجاوز التقدير وأما اتقان أشكالها وأحكام حياتها والمحاكاة بها الأمور الطبيعية فوضع التعجب بالحقيقة. فن ذلك صنم ذرعناه سوى قاعدته فكان نيفا وثلاثين ذراعاً وكان مداه من جهة اليمن إلى اليسار نحو عشر أذرع ومن جهة الخلف إلى الامام على تلك النسبة وهو حجر واحد من الصوان الأحمر وعليه من الدهان الأحمر كأنه لم يزدده تقادم الأيام الأجددة

والعجب كل العجب كيف حفظ فيه مع عظم النظام الطبيعي والتناسب الحقيقي. وانت تعلم أن كل واحد من الأعضاء الآلية والمثابة له في نفسه مقدار ما وله إلى سائر الأعضاء نسبة ما بذلك المقدار. وبذلك النسبة تحصل حسن الهيئة وملاحظة الصورة فإن اختلف شيء من ذلك حدث من القبح بمقدار الخلل. وقد أحكم في هذه الأصنام هذا النظام أحكاماً أي أحكام فن ذلك مقادير الأعضاء في نفسها ثم نسب بعضها إلى بعض، فأنك ترى الصنم قد ابتدئ بانفصال صدره عن عنقه عند الترقوة بنسب بليغ ثم يأخذ الصدر في ارتفاع التراب إلى التندوتين فيرتفعان عما دونهما ويبرزان من سائر الصدر بنسبة عجبة ثم يعلوان إلى حد الحلة، ثم تصور الحلة مناسبة لتلك الصورة الهائلة ثم تنحدر إلى الموضع المطبق عند القص وفرجة الزور وزور القلب وإلى تعميد الاضلاع والتوائها كما هو موجود في الحيوان الحقيقي. ثم تنحدر إلى مقاطع الاضلاع ومراق البطن والتواء العصب وعرض البطن يمتد وتمالاً وتوترها وارتفاعها وانخفاض ما دون اسرة بما يلي الاقرب ثم تحقيق اسرة وتوتر العضل حولها، ثم الانحدار إلى التندوتين والخصابين وعروق الحلب والخروج منه إلى عظمي الوركين وكذلك عند انفصال الكتف من العنق، والعنق من الصدر، والذراع من الكتف والكوع والكوع من الورك

المرفق ونهرى مفصل الساعد من العضد وعضل الساعد ورطوبة اللحم وتوتر العصب وغير ذلك مما يطول شرحه، وقد صور كف بعضها قابضاً به على عموذ قطره شبر فانه كتاب، وصورت العضون والأسارير التي تحدث في جلدة الكف مما يلي الخنصر عند ما يقبض الانسان كفه، وأما حسن أوجها وتناسبها فعلى أكل مافي القوى البشرية أن تفعله وأتم مافي المواد الحجرية أن تقبله ولم يبق إلا صورة اللحم والدم وكذلك صورة الاذن وحتارها وتعاريجها على غاية التمثيل والتخييل

ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جداً وقد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيوان مع كونهما أعظم جثمن الحيوان الخفي جداً جداً وقد تكسرا وردما بالتراب

ووجدنا من سور المدينة قطعة صالحة مبنية بالحجارة الصغار والطوب وهذا الطوب كبير جاف متطاوّل الشكل ومقداره نصف الاجر الكسرى بالعراق . أن طوب مصر اليوم نصف أجر العراق اليوم أيضاً

واذا رأى اللبيب هذه الآثار عذر العوام في اعتقادهم عن الأوائل بأن أعمارهم كانت طويلة وجثثهم عظيمة أو أنه كان لهم عصا اذا ضربوا بها الحجر سعى بين أيديهم، وذلك أن الاذهان تقصر عن مقدار ما يحتاج اليه في ذلك من علم الهندسة واجتماع الهمة وتوفر العزيمة ومصارف العمل والتكثف من الآلات والتفرغ للأعمال والعلم بمعرفة أعضاء الحيوان وخاصة الانسان ومقاديرها ونسب بعضها من بعض وكيفية تركيبها ونسباتها ومقادير وضع بعضها من بعض، فان الهدف الأسفل من الانسان أعظم من النصف الأعلى منه اعنى النور بمقدار معلوم، بخلاف سائر الحيوان . والانسان المعتدل طوله ثمانية أشبار بشبر نفسه وطول يده الى طي مرفقه شبران بشبره وعصده شبر وربيع وهكذا جميع عظام الصغار والكبار والقصب والسناس والسلاميات حافظة للنظام في مقاديرها ونسب بعضها إلى بعض وكذلك سائر الأعضاء الباطنة والظاهرة فانخفاض اليافوخ عن ذروة الراس وتوؤه عما دونه وامتداد الجبهة والجبينين وقطامن الصدغين وتوؤه عظمى الوجنتين وسوالة الخدين وانخراط الأنف ولين المارن وانفراج المنخرين

وامتداد الوتر و دقة الثفتين واستدارة الحك وانخراط الفكين وغير ذلك مما تضيق عنه العبارة ، وانما يدرك بالمشاهدة وبالتشريح والتأمل . وقد ذكر أرسطوطاليس فصلا في المقالة الحادية عشرة من كتاب الحيوان له يدل على أن القوم كان لهم حذافة واثقان لمعرفة أعضاء الحيوان وتناسبها ، وإن جميع ما أدر كوه وإن جل فهو حقير تافه بالقياس إلى الأمر الحقيقي المطبوع وانما يستعظم ما عرفه الإنسان منه بالقياس إلى ضعف قوته وبالقياس إلى باقي نوعه من بهيجز مما قدر عليه ، كما يتعجب من النملة إذا حملت حبة شعير ولا يتعجب من الفيل إذا حمل قناطير وهذا نص كلامه باصلاحى قال : من العجب أن نستحب علم أحكام التصاوير وعمل الاصنام وافرأغها وتبين حكمتها ولا نستحب معرفة الأشياء المقومة بالطبيعة ولا سيما إذا قورنا على معرفة علمها ولذلك لا ينبغى لنا أن نذكره النظر في طباع الحيوان الحقير الذى ليس بكرىم ولا يشغل ذلك علينا كما يتغل على الصبيان . ففي جميع الأشياء الطباعية شىء عجيب ولذلك ينبغى لنا أن نطلب معرفة طباع كل واحد من الحيوان ونعلم أن في جميعه شيئا طباعيا كريما ، لأنه لم يطمع شىء منها على وجه الباطل ولا كما جاء وافق ولا بالبحث بل كل ما يكون من قبيل الطباع فانما يكون لشىء أغنى لحال التمام ولذلك صار له مكان ومرتبة وفضيلة صالحة . فتبارك الله أحسن الخالقين

وأما باطل الحيوان وتجويفاته وما فيها من العجائب التى تشتمل على وصفها كتب التشريح لجالينوس وغيره وكتاب منافع الأعضاء له فان أسير اليسير منه يبيته دونه المصور حسيراً ولا يجد له على ذلك ظهيراً ويعلم مصداق قوله تعالى وخلق الاسان ضعيفاً

وأقول أن التعجب من الأمور الصناعية ايضا هي التعجب من الأمور الطباعية لأن الأمور الصناعية هي وجه ماضاعية وذلك أنها حادثة عن قوى طباعية وكما أن المهندس اذا حرك نقلا عظيما أسحق أن يتعجب منه فكذلك اذا صنع صررة من حنط مثلا تحركت تلك الصورة نقلا ما كان ذلك المهندس آخرى يتعجب منه . والله سبحانه وما تدرى ما ذكرت من ما ذكرته رعى السبب والشهادة روى المسك تدرون وورد فلا حجاب . يعلم خاتمة الاعين

وما تخفى الصلور. ومن أشباح الموجودات بقدرته قائمة وبارادته متحركة وساكنة
وبنفاذ أمره فيها فرحة وناقراها من حضرة قدسه مبتهجة ولشكرها تشهد
بوحديته وتغيرها تقرر بقدرته وأن من شيء إلا يسبح بحمده

ولنرجع الى حديثنا الاول فنقول هذه الاصنام مع كثرتها قد تركتها الايام
الا الاقل منها جذاذا وغادرتها رمادا. ولقد شاهدت كبرا منها وقد نحت من
صلته رجا قطرها ذراعان ولم يظهر في صورته كبير تشويه ولا تغير بين، ورأيت
صنا وبين رجله صنم متصل به صغير طنه مولود بالقياس اليه، وهو مع ذلك
كأعظم رجل يكون وعليه من الملاحه والجمال ما يشوق الناظر اليه لا يمل من
ملاحظته. واتخاذ الاصنام قد كان في ذلك الزمان شائعا في الارض عاما في الامم
ولهذا قال تعالى في حق ابراهيم عليه السلام: ان ابراهيم كان أمة فأتانا الله ضيفا
ولم يك من المشركين أى كان وحده في زمنه موحدا فوأمة بنفسه لا عزاله
ايام وانفراده برأى يخالف آراهم، ولما رأى بنو اسرائيل تعظيم القبط هذه
الاصنام وتبجيلهم اياها وعكوفهم عليها والقوا ذلك وانسوا به لطول مقامهم
بينهم ثم رأوا قوما من أهل الشام عاكفين على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا
ألها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون. ولما كان الصارى معظمهم وجمهورهم
أقباطا وصابئة نزعوا الى الاصل ومالوا الى سنة آباؤهم القديمة في اتخاذ التماثيل
في بيوتهم وهياكل عبادتهم والقوا في ذلك وتفننوا فيه وربما تراموا في الجهالة
والنوك حتى يصوروا آلههم والملائكة حوله بزعمهم وجميع ذلك لبقاياهم من
سنين أوائلهم وان كان الاوائل يكبرون الآله أن يدخل تحت ادراك عقلى وحسى
فصلا عن تصوير. وانما سهل على الصارى ذلك وأجرأهم عليه اعتقادهم الآلهية
للشعر وقد حققنا القول في ذلك في مقالنا عليهم

وما زالت الملوك تراعى بقاء هذا الآثار وتمنع من العبث فيها والعبث بها
وان كانوا أعداء لأربابها. واثنا يفعلون ذلك لمصالح منها لتقى تاريخا يقنه بها
على الاحقاب. ومنها أنها تكون شاهدة للكتب المنزلة فان القرآن العظيم ذكرها
وذكر أهلها في رؤيتها خبر الخبر وتصدق الأثر. ومنها أنها مذكورة بالصبر ومنهبة
على المسأل ومنها أنها تدل على تنهى من أحوال من سلف وسيرتهم وتوافر علومهم

الجير تخين ويوجد بعضهم في نواويس من حجارة إما رخام واما صوان وبعضهم في أزيار مملوءة عسلا، وخبرني الثقة أنهم بينا كانوا يتقنون المطالب عند الاهرام صادفوا دما محتوماً ففحصوه فاذا فيه عسل، فأكلوا منه فعلق في أصبح أحدهم شمر لجذبه فظهر لهم صبي صغير متماسك الاعضاء رطب البدن عليه شيء من الحلي والجوهر. وهؤلاء الموق قد يوجد على جباههم وعيونهم وأنوفهم ورق من الذهب كالقشر، وقد يوجد منه أيضا على فرج المرأة وربما وجد قشر من الذهب على جميع الميت كالغشاء، ربما وجد عنده شيء من الذهب والحلي والجوهر، وربما وجد عنده آله التي كان يزاول بها العمل في حياته. وخبرني الثقة أنه وجد عند ميت منهم آله مزين مسنا وموسى وعند آخر آله الحجام وعند آخر آله الحائك ويظهر من حالهم أنه قد كان من سنتهم أن يدفنوا مع الرجل آله وماله. وسمعت أن طوائف من الحبشة هذه سنتهم ويتطيرون بمتاع الميت أن يمسوه أو يتصرفوا فيه وكان لنا قريب دخل الحبشة واكتسب مالا منه مائتي أوقية من الذهب، وانه لما مات أكرهوا رجلا مصريا كان معه على أخذ ماله فاخذة بمننا عليهم وقد كان من سنتهم والله اعلم ان يجعل مع الميت شيء من الذهب، فخيرني بعض قضاة بوسيروهي بجاورة لمدافنهم أنهم نبشوا ثلاثة قبور فوجدوا على كل ميت قشرا رفيعا من الذهب لا يكاد يجتمع فيه، وفي كل منها سبيكة من الذهب فجمع السباتك الثلاثة فكان وزنها تسعة مثاقيل. والحكايات في ذلك اوسع من ان يحصرها هذا الكتاب واما ما يوجد في اجوافهم وادمقته من الشيء الذي يسمونه موميا فكثير جدا، يحلبه اهل الريف الى المدينة ويبيع بالشيء النزر ولقد اشتريت ثلاثة رؤوس مملوءة منه بنصف درهم مصري

واراني بائعه جولقا مملوءا من ذلك فيه الصدر والبطن وحشوه من هذا الموميا ورايته قد داخل العظام وتشربته وسرى فيها حتى صارت كأنها جزء منه، ورايت ايضا على قحف الراس اثر نوب الكفن واثر النساجة قد اتتش فيه كما يرسم على الشمع اذا ختمت به على توب وهذا الموميا هو اسود كالقار ورايته اذا اشتد عليه حر الصيف يجرى ويلصق بما يدنونه واذا طرح على الجرجل ودخن وشممت منه رائحة القار او الزفت والغالب انه زفت ومر

واما الموميا بالحقيقى فثىء ينحدر من رموس الجبال مع المياه ممحمحمد بالقار ويفوح منه رائحة زفت مخلوط بقعر وقال جالينوس الموميا يخرج من العيون بالقار والنقط . وقال غيره هو صنف من القار ويسمى حبض الجبال وهذا الذى يوجد فى تجاريف الموتى بمصر لا يبعد عن طباع الموميا وان يستعمل بدله اذا تعذر ومن أعجب ما يوجد فى مدافنهم اصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات ، وقد كفن الواحد منها فى كذا ولذا ثوبا وهو محتاط عليه بحفظ به ، وخبرنى الثقة اهم وجدوا بيتا تحت الارض محكا ففتحوه فوجدوا فيه لفائف ثياب القنب وقد تغطت قازالوها مع كثرتها فوجدوا تحتها بجلا محيجا قد احكم تقيطه وحدثنى آخرانهم وجدوا صقرا فنشروا عنه من لفائف الثياب حتى عيوا فوجدوا ، لم تسقط منه ريشة وحكى لى مثل ذلك عن هر وعن عصفور وعن خفساء وغير ذلك مما يطول شرحه ويهجن ذكره

وحكى لى الامير الصادق انه كان بقوص لجاء اليه من يبحث عن المطالب فذكروا له اهم انخسفت بهم هوة موهمة ان فيها ، دفينا فخرج معهم بجماعة متسلحين وحفروا فوجدوا زيرا كبيرا موثق الرأس بالجنب ، ففتحوه بعد الجهد فوجدوا فيه ثالا صابم مكفنا بخرق خلوه فوجدوا تحتها صيرا وهو سمك صفار وقد صار كالهباء اذا نفخ طار فنقلوا الزير الى مدينة قوص بين يدي والى واجتمع عليه نحو مائة رجل لحلوا الجميع حتى اتوا على آخره وهو كله صبر مكفن ليس فيه سوى ذلك ورايت انا بعد ذلك فى مدافنهم ببرصير من العجايب ما لا يبق به هذا الكتاب ، فن ذلك انى وجدت فى هذه المدافن مغائر تحت الارض مبنية باتقان وفيها رمم مدفنة ، وفى كل مغارة عدد لا يحصى ومن المغائر ما هو مملوء برمم الكلاب ، ومنها ما هو مملوء برمم البقر ، ومنها ما فيه رمم السناير والجميع مكفن بخرق القنب ورايت شبنا من عظام بنى ادم وقد تمشق حتى صار كالليف الابيض لقدمه ، ومع ذلك فاكثر الرمم التى رايتها صلبة متماسكة جدا يظهر عليها من الطراة اكثر من رمم الهالكين سنة سبع وتسعين وخمسماية الا فى ذكرها آخر كتابنا هذا . ولا سيما ما كان من الرمم القديمة قد انصخب بالزفت والقطران فانك تجدها فى لون الحديد وصلابته ورزاته ورايت من جهاجم البقر ما شاء الله ولذلك جهاجم الغنم وفرقت بين رؤس المعز

والضأن وبين رؤوس البقر والثيران ، ووجدت لحم البقر قد التصق بالأكفان حتى صار قطعة واحدة حمراء تقرب إلى السواد ، ويخرج العظم من تحتها أبيض وبعض العظام حمراء وبعضها أسود ولذلك في عظام الادمي ولا شك أن الأكفان كانت تبل بالصبر والقطران وتشرب به ثم يدفن بها فلذلك يصنع اللحم وبقية وما نال منها العظم صبغته فأحمر وأسود . ووجدت في عدة مواضع تلالاً من رمم الكلاب لعله يكون في جملتها مائة ألف رأس لب أو يزيد وذلك مما يثير الباحثين عن المطالب فإن جماعة يحملون مكاسبهم من هذه القبور وأخذوا ما منح لهم من الخشب والخرق وغيره . واستقرت جميع المواضع المحيطة فلم يجد فيها رأس فرس ولا جمل ولا حمار فبقى ذلك في نفسي . فسألت مشايخ بوسير فبادروا إلى إخباري بأنهم قد تقدمت فكرتهم في ذلك واستقروا على ما فلم يجدوه . وأكثر توايبتهم من خشب الجوز وفيه القوى الصلب ومنه ما صار في درجة الرماد وخبرني قضاة بوسير بعجائب منها أنهم وجدوا ناووساً من حجر قفصوه فلقوا فيه ناووساً قفصوه فوجدوا فيه تابوتاً ففتحوه فوجدوا فيه سحلية وهي سام أبرص مكفنة عتاطاً عليها معنيا بها

ووجدنا عند بوسير أهراماً كثيرة منها هرم قد انهدم وبقى قلبه فقسناه من مبدأ أساسه فوجدناه لا يتقاصر عن هرمي الجيزة

وجميع ما حكيناه من أحوال مدافنهم ببوسير يوجد نحوه وأمثاله بعين شمس وبالبراني وبغيرها

وأعلم أن الأهرام لم أجد لها ذكر في التوراة ولا في غيرها ولا رأيت أرسطو ذكرها ، وإنما قال في أثناء قوله في السياسة كما كان من سنة المصريين البناء ، وللاسكندر الأفروذيي تاريخ صغير ذكر فيه اليهود والمجوس والصابئة وتعرض بشئ من أخبار القبط ، وأما جالينوس فرأته ذكر الأهرام في موضع واحد وجعله من هرم الشيخوخة ، وقال في كتاب شرح الأهوية والبلدان لبقرات فن أراد أن يتعلم صناعة النجوم فعليه بمصر فإن أهلها قد عنا بذلك عناية تامة . هذاهنى قوله ، وقال في كتاب عمل التشريح فن أراد أن يشاهد كيفية تركيب العظام وهياكلها فيذنى له أن يقصد الاسكندرية ويشاهد موتى القداماء

وأعلم أن القبط بمصر نظير النبط بالعراق. ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصير
بمصر نظير الفرس والاكاسرة بالعراق والاسكندرية نظير المدائن، والفسطاط
نظير بغداد. والجميع اليوم بعد الاسلام وتشمله دعوة بني العباس

الفصل الخامس

فيما شوهدها من غرائب الابنية والسفن

وأما أبنيهم فقبيا مهندسة بارعة وترتيب في الغاية، حتى أنهم قلما يتركون مكانا
غفلا غالبا عن مصلحة ودورهم أقبح وغالب سكانهم في الاعالي ويجعلون منافذ
منازلهم تلقا الشمال والرياح الطيبة، وقلما نجد منزلا إلا وتجده فيه باذاهيج
وباذاهيجاتهم كبار واسطة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتى أنه يقوم
على عمارة الواحد منها مائة دينار الى خمس مائة وان كانت باذا هيجات المنازل الصغار
يغرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارحهم واسعة وابيتهم شاهقة ويننون
بالحجر النحيت والطوب الاحمر وهو الاجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق
ويحكون قنوات المراحيض حتى أنه تغرب الدار والقناة قائمة، ويحفرون
الكنف الى المعين فتغير عليها برهة من النهر بطويلة ولا يفتقر الى كسح وإذا
أرادوا بناء ريع أو دار ملكية أو قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل
فيعمد الى العرصة وهي تل تراب أو نحوه فيقسمها في ذهنه ويرتبها بحسب مايقترح
عليه ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصة فيعمره ويكمله بحيث يتنفع به على
انفراده ويسكن ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكال
الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

وأما المسناة فيقسمونها الرزينة ولهم في بنائها اتقان حسن، وصفته أن يحفر
الاساس حتى تظهر النداة وترير الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجيز أو نحوه
على تلك الارض الندية بعد ما تمهد، ويكون عرضه نحو ثلثي ذراع وقطر حلقته
نحو ذراعين مثل الذي يجعل في قعر الآبار ثم يبني عليه بالطوب والجيز نحو قائمتين
فيصير بمنزلة التنور. فيأتي الفواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلما نبع الماء

نزحوه من الطين والرمل، ويحضرون أيضاً تحت ذلك الملبس فكلاً تخلخل ما تحته
وثقل بما عليه من البناء، نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء في أثناء
ذلك يبنى عليه ويرفعه، ولا يزال البناء يرفع الفاعل تحته يحفر وهو بثقله يغوص
حتى يستقر على أرض جلدة ويصل الى الحد الذي يعرفونه، فحينئذ ينتقلون الى عمل
آخر مثله على سمتة وعلى بعد أربع أذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون
ذلك في جميع طول الاساس المفروض مما يبنون الاساس العادة بعد ردم هذه
الآبار فترجع أو تادأ راسية للبناء وعهد تدصمه وتوثقه

وأما حماماتهم فلم أشاهد في البلاد أتقن منها وصفاً ولا أتم حكمة ولا أحسن
منظراً وغبراً. أما أولاً فإن أحواضها يسم الواحد منها ما بين راوتين الى أربع
روايا وأكثر من ذلك يصب فيه ميزابان فجاجان حار وبارد وقبل ذلك يصبان
في حوض صغير جداً مرتفع، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا
الحوض نحو ربه فوق الارض وسائرة في عمقها ينزل اليه المستحم فيستقم فيه .
وداخل الحمام مقاصير بابواب، وفي المسلح أيضاً مقاصير لأرباب التخصص حتى
لا يختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم وهذا المسلح بمقاصيره حسن القسمة
مليح البنية وفي وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة، وجميع ذلك مزوق السقوف
مفوف الجدران مبيضا مرخم الأرض بأصناف الرغام مجرور باختلاف ألوانه،
وترخيم الداخل يكون أبداً أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء
مرتفع الازاج، جاماته مختلفة الألوان صافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان
لم يؤثر الخروج منه لأنه إذا بالغ بعض الرؤساء أن يتخذ داراً لجلوسه وتناهى في
ذلك لم تكن أحسن منه

وفي موقعه حكمة عجبية، وذلك أن يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث
يصل اليها لسان النار ويصف على أفاريزها أربع قدور رصاص كقدور الحراس
لكنها أكبر منها. وتتصل هذه القدور قرب أعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء
من مجرى البئر الى فسقية عظيمة، ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها بارداً على
حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلاً، ثم الى الثالثة فيسخن أكثر من ذلك
ثم الى الرابعة فيتناهى حره . ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام فلا يزال الماء

جاريًا وحارًا بابس كلفة واهون سعي واقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة في بطون الحيوان وطبخها الغذاء فان الغذاء يتنقل في الامعاء وآلات الغذاء التي هي لكل حيوان وكلها صار الغذاء الى مصير حصل على صنف من البهيم ومقدار من النضج حتى يصل الى المعاء الاخير وقد تناهى

واعلم ان هذه القدر وكل حين تحتاج الى تجديد ما ينقصها فتوجد القدر الاولى التي هي وعاء البارد قد نقصت اكثر من نقصان القدر التي هي وعاء الحار بمقدارين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون أرض الاتون التي هي مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحًا وهكذا يفعلون بأرض الافران لأن الملح من طبعه حفظ الحرارة . واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب ما رايت فيها مركب يسمونه العشري شكله شكل شبارة داخلة ، الا انه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هندامًا وشكلًا ، قد سطح بالواح من خشب مبنية بحكمة وأخرج منها افاريز بالرواشن نحو ذراعين ، وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ وبدهن باحسن دهان

وهذا يتخذ للبلوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسًا في وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيامًا بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطمعتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يقذفون به لايعلون شيئاً من أحوال الرقاب ولا الرقاب تشتغل حواطهم بهم بل كل فريق يعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع ، وإذا أراد قضاء حاجته دخل المرحاض ، والملاحون بمصريقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الجبالين في مشيهم القهقري ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب قنلا بين يديه ويمشي به الى خلفه . واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل أمامه ويدسر به فسفنه تتوجه حيث الملاح متجه وأما سفن مصر فهي تتحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه . واما أي الحالتين اسهل والبرهان عليها فوضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الانتقال

الفصل السادس

في غرائب اطعمتها

فن ذلك النيدة وهي بمنزلة الخبيص حمراء الى السواد وهي حلوة لافى الغاية وتتخذ من القمح بأن يبت ثم يطبخ حتى يخرج نشاء وقوته فى الماء ، ثم يصفى ويطبخ ذلك الماء حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق ويعقد ويرفع فيباع بسعر الخبز وهذه تسمى نيدة البوش، وقد يطبخ ذلك الماء وحده حتى ينقد من غير دقيق وتسمى النيدة المعقودة وهي اعلی من الاولى واعلی

ويختصون ايضا باستخراج دهن بزر الفجل والسلمج والخس، ويستصبحون به ويعملون منه الصابون، وصابونهم رطب أحمر وأصفر وأخضر وبه شبهت الصابونية واليه نسبت

وأما أطبختهم فالخواص منها والسواذج هي المعهودة أو قريبة من المعهودة، وأما المحليات فغريبة وذلك أنهم يتخذون الدجاج بأصناف من الحلويات وسيل ذلك أن تسلق الدجاج ثم ترمى فى الجلاب ويلقى عليه بندق مدقوق أو فستق أو خشخاش أو بزر رجلة أو ورد ويطبخ حتى ينقد ثم يقبل ويرفع وتسمى هذه الاطبخة بالفستقية والبندقية والخشخاشية والوردية وست المنوية التى تعقد ببزر الرجلة لسوادها ويتفنون فى ذلك تفننا يحتاج الى شرح أكثر من هذا

وأما الحلويات المتخذة من السكر فأصناف كثيرة يؤدى استقصاؤها الى الخروج عن الغرض ويحوج الى وضع كتاب مفرد ، وقد يتخذ منها ما يصلح لداواة الامراض ولارباب الحمية من المرضى والناقلين اذا تأقت أنفسهم الى الحلوى، فن ذلك خبيص القطين وخبيص الجزر والوردية المتخذة بالورد والزنجبيلية المتخذة بالزنجبيل وبقراص العود وأقراص الليمون والاقراص المسككة وغير ذلك ، وكثيراً ما يستعملون الفستق فى أطبختهم وحلواتهم عوض اللوز وهو ما يفتح سد الكبد، ويتخذون منه هريسة تسمى هريسة الفستق وهي لذیذة جداً مسمنة وموادها لحم دجاج مسلوق منسر جزء وجلاب جزءان ومثل تمن الجبعم أو تسعة فستق مقشور مهروس وكيفية عمله أن يمسح اللحم المنسر بالسیرج ويجعل بالدست بحيث يشم النار ويسكب عليه الجلاب ويضرب حتى ينقد ثم يلقى على الفستق ويضرب حتى يختلط ثم يرفع

ومن غريب ما يتخذونه رقيق الصينة وصفته أن يؤخذ من الدقيق الحواري ثلاثون رطلاً بالتدادي ويعجن مع خمسة أربال ونصف سرجاً عجناً خبز الخشكنا ثم يقسم بقسمين ويبسط أحدهما رقيقاً في صينة نحاس قد اتخذت لذلك سعة قطرها نحو أربعة أشبار ولها عرى وثيقة ثم يعي على الرقيق ثلاثة أخرفه مشوية محشوة الاجواف بلحم مدقوق ومقلو بالسرج والفستق المهروس والافاوية المعطرة الحارة كالفلفل والزنجبيل والقرفة والمصطكي والكزبرة والكون والهل والجوزة ونحو ذلك ويرش عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك ثم يجعل على الخرقان وبين خلاهما عشرون دجاجة وعشرون فروجا وعشرون فرخاً بمضه مشوي محشو بالبيض وبمضه محشو باللحم وبمضه مطجن بماء الحصرم أو بماء الليمون أو بنحو ذلك، ثم يشور بالنسوسك والقماقم المحشوة باللحم بمضه بالسكرو الحلوى بمضها وإن شئت أن تزيده خروفاً آخر تتخذه شرائح فلا بأس وكذا جنباً مقلوا، فإذا نضد ذلك وصار دالقة نضج عليه ماء ورد قد ديف فيه مسك وعود، ثم غطي بالقسم الثاني من العجين بعد أن يمد رقيقاً ويلحم بين الرقيقين كما يلحم الخشكنا بحيث لا يخرج منه نفس أصلاً، ثم يقرب إلى رأس التور حتى يتماسك عجينه ويتبدى في النضج حينئذ ترسل الصينة في التور بمرأها رويداً رويداً ويصبر عليه ريثما ينضج الخبز ويتورد ويحمر ثم يخرج ويمسح بأسفنجه فيرش عليه ماء ورد ومسك ويرفع للأكل. وهذا الصنيع يصلح أن يحمل مع الملوك وأرباب القرف إلى متعدياتهم النائية ومتزهاتهم النازحة فإنه وحده جملة فيها تفضل سبل الحمل عسر التشمع جميل المنظر مشكور المخبر يحفظ الحرارة مدة طويلة

وأما عوامهم فقلاً يعرفون شيئاً من ذلك، وأكثر أغذيتهم الصبر والصحة والدليس والخبز والنبدة ونحو ذلك وشراهم المزرو وهو نبيذ يتخذ من القمح ومهم أصاف يأكلون الفأر المتولد في الصحارى والغيطان عند انحطاط الببل ويسمونه سمانى الغيط وبالصيد قوم يأكلون التعابين والميتات من الخمر والدواب وبأسافل الأرض قد يتخذ نبيذ من البطيخ الأخضر، وبدمياط يكثر أكل السمك ويطبخ بكل ما يطبخ به الناحم من الرز والسماق والمدققات وغير ذلك

آخر المقام الأثرى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين

المقالة الثانية وهي ثلاثة فصول

الفصل الاول

في النيل وكيفية زيادة واعطاء حقل ذلك وقوانينه

أعلم ان نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الارض وذلك في شمس السرطان والاسد والسنبلة، فيعلو على الأرض ويقم أياماً فإذا نزل عنها حرثت وزرعت، ثم يكثر الندى في الليل جداً وبه يتعدى الزرع الى ان يحصد ، ونهاية ما تدعو اليه الحاجة من الزيادة ثمانى عشرة ذراعا فان زاد على ذلك فانه يروى أمكنة مستعيلة وانه نافلة وعلى جهة التبرع ونهاية ما يريد على جهة الندرة أصابع من عشرين ذراعا وعند ذلك تستبحر أمكنة يدوم مكث الماء عليها فقوت زراعتها ويور من البلاد بما عادته أن يزرع نحو ما روى بما عادته أن يشرق ولنسم الثانية عشرة نهاية الضرورى ولنسم العشرين نهاية الافراط وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقايلها . فابتداء الضرورى ستة عشر ذراعا ويسمى ماء السرطان إذ عنده يستحق الحراج ويدوى به نحو نصف البلاد ويغل من القوت بمقدار ما يحاج أهل البلاد سنهم جمعاً مع توسع و يروى سائر البلاد المعتادة بالرى بما زاد على ست عشرة ذراعا الى ثمانى عشرة ، وهذا يقل بمقدار ما يجبر أهل البلاد ستين فصاعداً ، وأما ما نقص عن ست عشرة ذراعا فيروى به ما هو دون الكفاية ولا تحصل منه ميرة

سنهم ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ست عشرة ذراعا وحينئذ يقال أن البلاد قد تفرقت ، واشتقاقها من قولهم تفرقت الشمس إذا لمعت وظهرت ، وشرقت اللحم إذا بشرته ليحف . ومنه قيل أيام التشريق لأن لحوم الاضاحى تشرق فيها أى تبسط، ومنه أيضاً قولهم ترق بالماء والشراب لأن الماء عند الاغتصاص وانسداد الخلق يظهر ويرز ولا يلبج . ولما كانت الارض في السنة التى يوفى نيلها بارضة لا يسترها الماء ولا يخفها الغمر قيل شرقت ولم تنطف ولم ينلها النيل ويجوز ان يكون التشريق ريح شرقية لأن الريح الشرقية والقبلية وهى الجنوب هما عندهم دليل نقص الماء وسيله والغرية البحرية وهى الشمال هما عندهم دليل الزيادة وسببها، فيكون معنى قولهم شرقت البلاد أى كثر هبوب الرياح الشرقية حتى نسفت الماء وأظهرت الأرض ثم سميت الارض شرقية باسم الرياح

وجعت على شراق مثل كرسى وكراسى وبحق وبخاق . وأما النيل فهو فعل من نال ينال نيلًا ومن نال ينول نولًا ، يقال نوله تنولًا ونلته نولًا إذا أعطيته ، والنيل اسم ما ينال مثل الرعى للمصدر والرعى لما يرعى وليس هذا من غرضنا ولكننا فيه أمر عن قلنا فيه

ففى نقص عن الست عشر ذراعًا فهو ابتداء التفريط المقابل للافراط ، وكنا قد سقنا فى الكتاب الكبير سنى الافراط والتفريط منذ الهجرة الى سنتنا هذه . وأما هنا فأنما نقص ما شاهدنا على ما شرطنا

واتفق أن زيادة النيل بلغت ست وتسعين وخمس مائة اثنتى عشرة ذراعًا واحدًا وعشرين أصبعًا ، وهذا المقدار نادر جدا فانه لم يلقنا منذ الهجرة الى الآن أن النيل وقف على هذا الحد قط إلا فى سنة ستا وخمسين وثلاثمائة فانه وقف على دون هذا المقدار بأربع أصابع ، وأما وقوفه على ثلاث عشرة ذراعًا وأصابع فانه وقع نحو ست مرات فى هذه المدة الطويلة . وأما أربع عشرة ذراعًا وأصابع فانه وقع نحو عشرين مرة ، وأما خمس عشرة ذراعًا فأكثر من ذلك كثيرًا ونحن نسوق أحوال زيادته فى هذه السنة أعنى ستة ست وتسعين وخمس مائة ثم نتبع ذلك بما حصل عندنا من علل ذلك وقوانينه فقول أن المادة جارية أو تتبدى الزيادة من أيبب وتعظم فى مسمى وتناهى فى توت أو ما به ثم تحط . فدخل أيبب فى هذه السنة وابتدأ النيل يتحرك بالزيادة ولأن قبل ذلك بحو شهرين قد بدت فى مائه خضرة سلقية ثم كثرت وظهرت فى راحة ذرة كريمة وعفونة طاحلية كانه عصارة السلق إذا بقى أيامًا حتى يعفن وجعلت منه وعاء ضيق الرأس فعلاه سحابة خضراء فرففتها برفق وتركبتها تجف إذا بها طحلب لاشك فيه ويوق الماء بعد رفع هذه السحابة غير صافياً لا خضرة فيه إلا أن طعمه وريحه باقياں وتجدد فيه أيضاً أجساماً صفراء نباتية مبتونة طاهية ولا ترسب و صار أرناب الحية يتجنبون شربه ، كما يتسرون ماء الآبار وأغليته بالآثار ظلاً منى أنه يهالج بذلك كما وصى الاطباء أن يفعل بالماء المتغيرة فزاد طعمه وريحه كراهة وسهكا فوجدت عليه ذلك ان الاجزاء النباتية التى هى مستوتة فيه ياضف الطليخ جوهرها ويخاط بالماء اختلاطاً أتد عن الاول فيظهر التغير فى ريحه وضعه أكثر ويصير ذلك بمنزلة الماء اذا

طبخ فيه سلق أو لجل أو نحوه فان التار تمزج بين الماء ولطيف النبات، وأما الماء الذى يصلح بالطبخ وإياه قصد الاطباء فهو الذى تغيره بمخالطته أجزأ أرضية فانها تنفصل عنه بالطبخ لأن الماء حينئذ يطفئ فترسب فيه

ثم أنه دامت خضرته أياماً من رجب وشعبان ورمضان، واضمحلت في شوال، وكان يصحب الخضرة دود وحيوانات وههنا التغير في الماء يكون بالصعيد أكثر لأنه أقرب الى المبدأ والمعدن، وانتهت زيادته في الحادى عشر من توت الى اثنتى عشرة ذراعاً واحدى وعشرين اصبعاً ثم انحط وورد في شوال رسول ملك الحبشة ومعه كتاب يتضمن موت مطرانهم ويلتمس عرضه وذكر فيه أن مطرهم في هذه السنة ضعيف وأن النيل قليل المد لذلك

وكنا اقتصصنا في ذلك الكتاب حال النيل في هذه السنة وفي السنين الخوالى رجاء أن نعثر على نسب بينها واعراض لها نقف منها على المتجددات من أحوال النيل في سنى الزيادة وسنى النقصان، فيمكننا مقدمة المعرفة وأخذ الاهبة والانذار بالحوادث المتوقعة، فان أقباط الصعيد يزعمون أنهم يتكهنون على مقدار الزيادة في السنة من طين معلوم الوزن ينجمونه في ليلة معروفة ويزنونه غدوة فيجذونه قد زاد فيحكمون من مقدار زيادته على مقدار زيادة النيل، ويقوم يتكهنون من حمل النحل، ويقوم من تعميل النحل

فأريت في الغالب من حال القاع اذا كان أقل من المعتاد كانت الزيادة في تلك السنة أقل من المعتاد هذا حكمه الا كثرى فان أتت الخضرة في أول زيادته وقبيلها قوى الظن بضعف جريته فان طال أيام الخضرة وضعف مقدار الزيادة قوى "طن جداً بقلته فان دامت الخضرة في أييب أذن بقلة المدروعال هذا ظاهرة أما كون قلة القاع دليلاً على قلة الزيادة فلأن المطر الذى هو علة الزيادة ينبغى أن يكون فيه من السكرة ما يرد القاع الى الحالة المعتادة يزيد عليها الزيادة المعتادة وهذه كثرة لا تقي بها أمطار كل سنة ولا توجد كل وقت، مثاله ان القاع اذا كان ذراعاً مثلاً فينبغى ان تكون الزيادة خمس عشرة ذراعاً حتى يبلغ ماء السرطان فان كان القاع ست أذرع احتاج من الزيادة الى عشر أذرع وكون هذا أيسر من الاول وأيضاً فان جرية النيل الاصلية مادتها عيون وأما زيادته فمادتها أمطار

ونقصان الميون دليل على احتراف السنة ويبس الهواء وقلة البخار فيقل المطر لذلك، وأيضاً فإن المدد الوائد على القاع أكثره في الغالب ثلاث عشرة ذراعا فإذا كان القاع ذراعا أو ذراعين ثم زاد عليه أكثر المد وهو ثلاث عشرة ذراعا لم يلحق ماء السرطان

وأما كون الخضرة دليلا على قلة الزيادة، فلأن النيل الماضى يغادر نقائع وغدرانها بعضها ينضب وبعضها يطحلب ويعطن ويأسن، فإذا مرّت بها أمطار ضعيفة اختلطت بها وصبت إلى النيل ولم يكن فيها من الكثرة ما يغلب على القائع فيصلحها بل النقائع تطلب على الأمطار المتصلة بها فتحيلها إلى الفساد وينحط منها مقدار بعد مقدار ويتواصل البناء، ولما كانت الأمطار أضعف وأقل كانت أيام جرى الخضرة أطول فإذا كانت أمطار قوية غسّلت تلك المستنقعات وغلبت عليها وحورتها بسرعة مغمورة بطين تجرفه بقوتها فيخفي منظرها، ويتعفن أثرها. وأيضاً فإن الانهار الخارجة من جبل القمر تجتمع بأخرى إلى بركة عظيمة ذات مساحة فسيحة ومن هذه البركة يخرج هذا النيل، ولا شك أن هذه البركة ملؤها دائم فيطحلب ولا سيما شطوطها وضحاها فإذا وقع الوسمى وجرى إليها سيوله أثارت مافي قعرها وحركت ما كان ما كنّا فيها وانكسح أيضا مافي الشطوط إلى الأوساط وأنسجت إلى حمل الجرية فاستصعبت، وأما كون الخضرة في أيّيب دليل النقصان فلأن أيّيب مظنة الزيادة وغلبة الماء على هذه الاوشاب فإذا بقي على خضرته أبان زيادته آذن بقلته، وهذه الاجزاء النباتية التي تصحب الماء إنما هي حطام النبات المتكون في الماء وحوله كالبردى والديس والسيار المطحلب وغير ذلك فتعفن فيه وتصفّر أجزاءه وتنبعث معه، وما يوجب انبعائها أيضا نقصان الماء من تلك البركة فإن ماها اذا قل اتصلت الجرية بقعرها فانسحب كدرها ورأسها وإذا كانت غمرأ كانت الجرية من أعلاها وصفوها قاعرف ذلك. ولهذا لا تأتي هذه الخضرة الا في السنة التي يحترق فيها النيل ولما كان احتراقه أشدّ كان ظهور الخضرة أكثر وفي السنة التي يكون نيلها غمرأ لا يحترق لا ترى الخضرة لأن كثرت له لكثرة مديه وارتفاع جريه عن مقر كدورته

فإذا اجتمعت هذه الدلائل كلها أرجأنا في سنة فظن ظنا قويا بأن الزيادة

قليلة فيها فهذه فائدة هذا الاقتصار، وفيه فوائد آخر منها ان من يأتي بعد إذا
 اضاف الى ما يشاهده يوشك أن يعثر منه على مناسبة أو دلالة أخرى على مقدار
 الزيادة والنقصان في كل سنة، ومنها ان اصحاب الاحكام النجومية اذا تأملوا المدد
 التي بين التقصانات والزيادات واعتبروا أحوال الكواكب والاقترانات فيها
 وطوال مصر وبلاد السودان وأرباب الولايات فيها من الكواكب ومزجوا
 ذلك أمكن ان تقوم لهم بما يتدرج صورة تجريبية في مقدار الزيادة والنقصان
 فاني الى الآن لم أر لمتجمني مصر بذلك عناية، ولم أجد عندهم ما تسكن اليه النفس
 سوى كسر ولا ينبغي على أصل

فانه بهذا الطريق استخرج معظم أحكام النجوم وذلك أنهم شاهدوا حوادث
 أرضية تقترب بنصبات فلكية وحرركات علوية ورصدوا ذلك فالفوه يتكرر نفسوا
 تلك الحوادث الى تلك الهيئات والنصبات فصاروا متى عثروا في تسييرهم لحرركات
 الاشخاص العلوية على مثل تلك النصب والهيئة حكموا بوقوع مثل تلك الحادثة
 ويروي عن أهل التجربة من قدماء الاقباط أنه اذا كان الماء في اثني عشر يوماً
 من مسرى اثني عشرة أصبأ من اثني عشرة ذراعاً فهي سنة ماء والا فالمايانص،
 ورأيت بعض من شرح الثمرة لبطليموس ذكر في تفسير الكلمة الاخيرة التي
 يقول في أولها النيازك تدل على جفاف الابخرة فاذا كان في جهة واحدة دلت
 على رياح تعرض في تلك الجهة واذا كانت شائعة في الجهات كلها دلت على نقصان
 المياه واضطراب الهواء وعلى جيوش تختلف فقال هذا المفسر أني لاذكر في سنة
 تسعين ومائتين ان الشهب بمصر اتثرت وعمت الجوبأسره فارتاع الناس ولم تزل
 تكثر فلم يمض لذلك جزء من السنة يسير حتى ظلم الناس وبلغ نيل مصر ثلاث عشرة
 ذراعاً واضطرب الناس اضطراباً زالت به دولة الطولوني من مصر واتثرت في
 سنة ثلثماية من سائر جهات الجوف نقص النيل أيضاً ووقعت همرجات واضطراب
 في المملكة، وهذه لعمري دلائل قوية ولكنها عامة لجميع الاقاليم وليست خاصة
 بمصر فقط. على أنه أيضاً قد وقع هذا الحادث بعينه في سنتنا هذه من تناثر
 الكواكب في أولها ونشيش الماء في آخرها وتغير ملك لمصر فيها بعينه الملك
 العادل بعد حرب كانت بينهما

الفصل الثاني

في حوادث سنة خمس وتسعين وخمسة مائة

ودخلت سنة سبع مفرسة أسباب الحياة ، وقد يئس الناس من زيادة النيل وارتفعت الاسعار وأقصت البلاد وأشعرا أهلها البلاء وخرجوا من خوف الجوع والنزوى أهل السواد والريف الى أمهات البلاد وانجلى كثير منهم الى الشام والمغرب والحجاز واليمن وتفرقوا في البلاد أيدي سبا ومزقوا كل ممزق ، ودخل الى القاهرة ومصر منهم خلق عظيم ، واشتد بهم الجوع ووقع فيهم الموت ، وعند نزول الشمس الحل وفي الهواء وقع المرض والموتان واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف والكلاب والبعر والاروات ثم تعدوا ذلك الى أن أكلوا صفار بني آدم فكثيراً ما يثر عليهم ومعهم صفار مشويون أو مطوخون فيأمر صاحب الشرطة بأحراق الفاعل لذلك والآكل

ورأيت صغيراً مشوياً في قفة ، وقد أحضر الى دار الوالي ومعه رجل وأمرأة زعم الناس أنهما أبواه فأمر بأحراقهما

ووجد في رمضان وبمصر رجل وقد جردت عظامه عن اللحم ، فأكل وبقى قفصاً كما يفعل الطباخون بالغنم ، ومثل هذا أعوز جالينوس مشاهدته ولذلك تطله بكل حيلة ، ولذلك كل من أثر الاطلاع على علم التشريح ، وحين ما نشم الفقراء في أكل بني آدم فإن الناس يتناقلون أخبارهم ويفيضون في ذلك استغظاما لامره وتعجباً من ندوره . ثم اشتد قربهم اليه وضرواتهم عليه بحيث اتخذوه معيشة ومطبة ومدخرا وتفتتوا فيه . وفشا عنهم ووجد بكل مكان من ديار مصر فسقط حيثذ التعجب والاستبشاع واستهجن الكلام فيه والسامع له

ولقد رأيت امرأة يسحبها الرعاع في السوق وقد ظفر معها بصغير مشوي تأكل منه . وأهل السوق ذاهلون عنها ومقبلون على شؤونهم وليس غمهم من يعجب لذلك أو ينكره فعاد تعجبي منهم أشد وما ذلك الا لكثره تكرره على احساسه حتى صار في حكم المألوف الذي لا يستحق ان يعجب منه

ورأيت قبل ذلك يومين صيّا نحو الرهاق مشوياً وقد أخذ به شابان أقرأ
بقتله وشبهه واكل بعضه

وفي بعض الليالي بعد صلاة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير
فبينما هو الى جانبها اهتلت غفلتها عنه صعلوكه فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيا
وحكى لى عدة نساء انه يتوئب عليهن لاقتناص اولادهن وبخامين عنهم بمجدهن

ورأيت مع امرأة فطيميا لحيا فاستحسنته واوصيتها بحفظه ، لحكت لى انها بينا .
تمشى على الخليج انقض عليها رجل جاف ينازعها ولدها فترامت على الولد نحو
الارض حتى ادركا فارس وطرده عنها ، وزعمت أنه كان يهم بكل عضو يظهر منه
أن يأكله وان الولد بقى مدة مريضاً لشدة تجاذبه المرأة والمفترس ، وتجد أطفال
الفقراء وصبيانهم ممن لم يبق له كفيلا ولا حارس منبئين في جميع اقطار البلاد وازقة
الدروب كالجراد المنتشر ، ورجال الفقراء ونساؤهم يتصيدون هؤلاء الصغار
ويتغذون بهم وانما يعثر عليهم في الندرة واذا لم يحسنوا التحفظ

واكثر ما كان يطلع من ذلك مع النساء وما أظن العلة فيه الا النساء أقل حيلة
من الرجال واضعف عن التباعد والاستتار . ولقد احرق بمصر خاصة في ايام بسيرة
ثلاثون امرأة كل منهن تقرأ أنها اكلت جماعة ، فرايت امرأة قد احضرت الى الوالى
وفي عنقها طفل شوى قضيت اكثر من مائتى سوط على ان تقر فلا تحير جواباً ،
بل تجدها قد اغلملت عن الطباع البشرية ثم سحبت فانت على مكان

واذا احرق آكل اصبح وقد صار مأكولاً لأنه يعود شواء ويستغنى عن طبخه
ثم فشافهم اكل بعضهم بعضاً حتى تفانى اكثرهم ، ودخل في ذلك جماعة من المياسير
والمساتير منهم من يفعله حاجه ومنهم من يفعله استطابة . وحكى لنا رجل أنه كان
له صديق ادقع في هذه النازلة فدعاه صديقه هذا الى منزله ليأكل عنده على ماجرت
به عادتاهما قبل ، فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاءة الفقر وبين أيديهم
طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز فراه ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة
مشحونة برمم الآدمى وبالحم الطرى فارتاع وخرج قاراً

وظهر من هؤلاء الخبثاء من يهيد الناس باصناف الحائل ويحتلبونهم الى
مكانهم بأنواع الختائل ، وقد جرى ذلك لثلاثة من الاطباء عن يتابى ، اما احدهم
فأن أباه خرج فلم يرجع ، واما الاخر فان امرأة أعطته درهمين على ان يصحبها الى

مریضها فلما توغلت به مضایق الطرق استراب وامتنع عنها وشتم عليها فتركت
دومیها، واما الثالث فان رجلا استصحبه الى مریضه فی الشارع برعنه وجعل فی
أثناء الطريق یصدف بالسکر ویقول الیوم یغتم الثواب ویضاعف الاجر ولمثل
هذا فلیعمل العاملون، ثم کثر حتی ارتاب منه الطیب ومع ذلك لحسن الظن بقلبه
وقوة الطمع تجذبه، حتی أدخله دارا خربة فزاد استعمارہ وتوقف فی الدرج وسبق
الرجل فاستفتح خرج، الیه رفیقہ یقول له هل مع أبطاکک حصل صید بنفع، فخرج
الطیب لما سمع ذلك، والقی نفسه الى اصطبل من طاقة صادفها السعادة فقام الیه
صاحب الاصطبل یسأله عن قضیته فأخفاها عنه خوفاً منه ایضاً، فقال قد علبت
حالک فان أهل هذا المنزل یدبحون الناس بالحیل

ووجد باطقیح عند صطارعدة خوائی بملاوة بلحم الادمی وعلیه الماء والملح
فسأله عن علة اتخاذہ والاستکثار منه فقال خفت اذا دام الجذب أن یهزل الناس
وإن جماعات من الفقراء قد آورا الى الجیرة وتستروا بیوت طین، تصیدون
فیها الناس وفطن لهم وطلب قتلهم فهربوا، ووجد فی بیوتهم من عظام بنی آدم
شیء کثیر، وخبرنی الثقة الذی وجد فی بیوتهم اربع مائة جمجمة

ومما شاع وسمع من لفظ الوالی ان امرأة اتته سافرة مذعورة تذكر انها قابلة
وان قوما استدعوا وقدموا لها صحنا فیہ سکباج حکم الصنعة مکمل التوابل فالفته
کثیر اللحم، مباينا اللحم المعهود فتقرزت منه ثم وجدت خلوة ببنت صغیرة فسألتها
عن اللحم فقالت انها فلاة السمينة دخلت لتزورنا فذبجها أبی وها هی معلقة اربا،
فقامت القابلة الى الخزانة فوجدتها أباير لحم فلما قصت علی الوالی القصة أرسل
معها من هجم الدار وأخذ من فیها وهرب صاحب المنزل ثم صانع عن نفسه فی
خفية بثلاثمائة دینار لیحق بذلك دمه

ومن غریب ما حدث من ذلك، ان امرأة من نساء الاجلا ذات مال ویسار
کانت حاملا وزوجها غائب فی الخدمة وكان یجاورها صعا لیک فقصت عنده
رائحة طح فطلبت منه كما هی عادة الحبالی فالفته لذلذا فاسترا دته فزعر، ثم
فسألته عن کیفیة عمله فاسروا الیها أنه لحم بنی آدم فوافأتهم علی ان تصیدوا
لها الصغار وتحزل لهم العطا فلما تكرر ذلك منها فضريت وغلبت علیها الطباع

السبعة وثى بها جواربها خوفاً منها فهجم عليها فوجد عندها من اللحم والعظام ما يشهد بصحة ذلك لحبست مقيدة وأرجىء قتلها احتراماً لزوجها وإبقاء على الولد في جوفها

ولو أخذنا نقص كل ما نرى ونسمع لوقعنا في التهمة أو في الهذر، وجميع ما حكيناه مما شاهدناه لم نتقصده ولا تتبعنا مظاهره وإنما هو شيء صادقناه اتفاقاً بل كثيراً ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره

وأما من يتحين ذلك بدار الوالى فإنه يجد منه أصنافاً تحضر مع أناء الليل والنهار وقد يوجد في قدر واحد اثنان وثلاثة وأكثر ووجد في بعض الايام قدر فيها عشر أيدى كما تطلخ أكارع الغنم ووجد مرة أخرى قدر كبيرة وفيها رأس كبير وبعض الاطراف مطبوخاً بقمح وأصناف من هذا الجنس تفوت الاحصاء

وإن عند جامع ابن طولون قوم يتخطفون الناس ووقع في حبائهم شيخ كتبى بدين من يتبعنا الكتب فافلت بهريعة الذن . وكذلك بعض قوام جامع مصر وقع في حبالة قوم آخرين بالقرافة فتداركه الناس شخاص من الوحق وله حصاص وأما من خرج من أهله فلم يرجع اليهم ثلق كثير : وحكى لى من أتق به أنه اجتاز على امرأة تجرية وبين يديها ميت قد انتفخ وتفجر وهى تأكل من أفخاذه فأنسر عليها فوهمت أنه زوجها وكثير ما يدعى الآكل ان المأكول ولده أو زوجه أو نحو ذلك ورؤى مع عجوز صغير تأكله فاعتذرت بان قالت انما هو ولد ابنتى وليس بأجنى منى ولان آكله أنا خير من ان يأكله غيرى

وأشاه هذا كثير جداً حتى انك لا تجد أحداً فى ديار مصر الا وقد رأى شيئاً من ذلك حتى أرباب الزوايا والنساء فى خدورهن

ومما شاع أيضاً نبش القبور وأكل الموتى وبيع لحمهم وهذه اليلة التى ترحناها وجدت فى جميع بلاد مصر ليس فيها بلد الا وقد أكل فيه الناس أكلا ذريعاً من أسوان وقوص والفيوم والحلة والاسكندرية ودمياط وسائر النواحي

وخرى بعض أصحابى وهو تاجر مأمون حين ورد من الاسكندرية بكثرة ما عاين بها من ذلك . وأعجب ما حكى لى أنه عاين ارؤس خمسة صفار مطبوخة

في قدر واحدة بالترايل الجيدة . وهذا المقدار من هذا الاقتصاص كاف فاني وان كنت قد أسهيت اعتقد أني قد قصرت

وأما القتل والفتك في النواحي فكثير فاش في كل فج ولا سيما طريق الفيوم والاسكندرية ، وقد كان بطريق الفيوم ناس في مراكب يرخصون الاجرة على الرقاب فاذا توسطوا بهم الطرق ذبحوهم وتساهموا اسلابهم ، وظفر الوالى منهم بجماعة قتل بهم ، وأقر بعضهم عندما أوجع ضربا ان الذى خصه دون رفقاءه ستة آلاف دينار

وأما موت الفقراء هزالا وجوعا فأمر لا يطيق عمله إلى الله سبحانه وتعالى وانما نذكر منه كالا نموذج يستدل به اللبيب على فظاعة الامر

فالذى شاهدناه بمصر والقاهرة وما تاخم ذلك ان الماشى أين كان لا يزال يقيم قدمه أو بصره على ميت ومن هو في السياق أو على جمع كثير بهذه الحال . وكان يرفع عن القاهرة خاصة إلى الميضاة كل يوم ما بين مائة إلى خمس مائة ، وأما مصر فليس لموتاهاعدد ويرمون ولا يوارون . ثم بأخرة عجز عن رميهم فبقوا في الاسواق بين البيوت والدكاكين وفيها الميت منهم قد تقطع وإلى جانبه القواء والخباز ونحوه وأما الضواحي والقرى فانه هلك أهلها قاطبة إلا ماشاء الله ، وبعضهم انجلى عنها اللهم إلا الأمهات والقرى الكبار كقوص والاشمونين والمحلة ونحو ذلك ، ومع هذا أيضا فلم يبق فيها إلا محلة القسم وان المسافر ليعر بالبلدة فلا يجد فيها نافخ ضربة ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى متقailين ، بعضهم قد رم وبعضهم طرى وربما وجد في البيت أثاثه وليس له من يأخذه

حدثني بذلك غير واحد كل منهم حكى ما يعضد به قول الآخر قال احدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا في الارض ولا في السماء فتحللنا البيوت فالفينا اهلها كما قال الله عز وجل : جعلناهم حصيداً خامدين ، فتجد ساكر كل دار موتى فيها الرجل وزوجته وأولاده قال ثم انتقلنا إلى بلد آخر ذكر لنا انه كان فيه اربع مائة دكان للحياكة فوجدناها كالتى قبلها في الخراب ، وان الحائكة في بير جا كسته ميت واهله موتى حوله . فحضرني قوله تعالى : ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون ، قال ثم انتقلنا إلى بلد آخر فوجدناه كالتى قبله ليس به انيس وهو

مشجون بموت اهل قال، واحتجنا الى الاقامة به لأجل الزراعة فاستأجرنا من ينقل الموتى مما حولنا الى النيل كل عشرة بدرم، قال ولكن قد بدلت البلاد بالذئاب والضباع ترفع لحوم أهلها

ومن عجيب ما شاهدت انى كنت يوما مشرفا على النيل مع جماعة فاجتاز علينا فى نحو ساعة نحو عشرة موتى تأتهم القرب المنفوخة هذا من غير أن تصدى لرؤيتهم ولا أحطنا بعرض البحر وفى غد ذلك اليوم ركبتا سفينة فرأينا اشلاء الموتى فى الخليج وسائر الشطوط كما شبهها ابن حجر بانايش العنصل وخبرت عن عياد بفرضة تنيس أنه مر به فى بعض نهار أربع مائة غريق يقذف بهم النيل الى البحر الملح وأما طريق الشام فقد تواترت الاخبار أنها صارت مزرعة لبى آدم بل محصرة وأنه عادت مأدبة بلحومهم للطير والسباع وان طلابهم التى محبتهم من منجلاهم هى التى تأكل فيهم

وأول من هلك فى هذه الطريق أهل الحرف عندما انتجعوا الى الشام وانتشروا فى هذه المسافة مع طولها كالجراد المحسوس ولم تزل تتواصل هلكاهم الى الآن وانتهى انتجاعهم الى الموصل وبغداد وخراسان والى بلاد الروم والمغرب واليمن ومزقوا كل ممزق

وكثيراً ما ذلت المرأة تملص من صبيتها فى الزحام فيتضورون حتى يموتوا وأما بيع الاحرار فضاغ وذاع عند من لا يراقب الله حتى تباع الجارية الحسنة بدرهم معدودة، وعرض على جارتان مراهقتان بدينار واحد، ورأيت مرة أخرى جارتين احدهما بكر ينادى عليهما باحد عشر درهما

وسألنى امرأة ان اشترى ابنتها وكانت جميلة دون البلوغ بخمسة دراهم فعرفتها ان ذلك حرام فقالت خذها هدية وكثيراً ما يترامى النساء والولدان الذين فيهم صباحة على الناس بأن يشتروهم أو يبيعوهم وقد استحل ذلك خلق عظيم ووصل سيهم الى العراق وأعماق خراسان وغير ذلك

وأعجب من جميع ما اقتصناه ان الناس مع ترادف هذه الايات عاكفون على أصنام شهواتهم لا يرعون منغمسون فى بحر ضلالاتهم، كأنهم هم المستثنون. فن ذلك اتخاذهم بيع الاحرار متجراً ومكتسباً ومنه عاهارهم بهؤلاء النسوة حتى ان منهم من

يزعم أنه افتض خمسين يكرأ ومنهم من يقول سبعين كل ذلك بالكسر
وأما خراب البلاد والقرى وخلو المساكن والفكاكين فهو بما يلزم هذه الجملة
التي اقتصناها وناهيك أن القرية التي كانت تشتمل على زهاء عشرة ألف نسمة
تمر عليها فتراها دمتة وربما وجد فيها وربما لم يوجد وأما مصر فخلا معظمها
وأما بيوت الخليج وزقاق البركة وحلب والمقس وما تاخم ذلك فلم يبق فيها بيت
مسكون أصلاً بعد ما كان كل قطر منها قدر مدينة زحمة من الناس حتى أن الرابع
والمساكن والدكاكين التي في سرّة القاهرة وخيارها أكثرها حال خراب وإن
ربما في أحمر موضع بالقاهرة فيه نيف وخمسون بيتاً كلها غالية سوى أربعة
أبيت أسكنت من يحرس الموضع

ولم يبق لأهل المدينة وقود في تنانيرهم وأفرانهم وبيوتهم إلا خشب السقوف
والابواب والاروب

وبما يقضى منه العجب أن جماعة من الذين مازالوا محدودين سعدوا في دنياهم
هذه السنة فنههم من أثرى بسبب متجره في القمح ومنهم من أثرى بسبب مال
انتقل اليه بالارث ومنهم من حسنت حاله لا بسبب معروف . فبارك من يده
القض والبسط ولكل مخلوق من عنايته قسط

وأما خبر النيل في هذه السنة فإنه احترق في برمودة احتراقاً كثيراً وصار
المقياس في أرض جزر وانحسر الماء عنه نحو الجزيرة وظهر في وسطه جزيرة عظيمة
طويلة ومقطعات أبنية وتغير الماء في ريحه وطعمه ثم تزايد التغير ثم انكشف
أمره عن خضرة طحليلة كلما تناولت الأيام ظهرت وكثرت كالتى ظهرت في
أبييين السنة الخالية ولم تزل الخضرة تزايد الى آخر شعبان ثم تناقصت الى أن
ذهبت وبقي في الماء أخيراً نباتية منبئة فقط وطاب طعمه وريحه ثم أخذ في
رمضان تسمى وتقوى جريته الى اليوم السادس عشر منه فقام فيه ابن أبى الرداد
قاع البركة فكان ذراعين وأخذ في زيادة ضعيفه بأضعف من السنة الخالية ولم
يزل في زيادة ضعيفة الى ثامن ذى القعدة وهو السابع عشر من مسرى فزاد
أصبغاً نه وقف ثلاثة أيام فأيقن الناس بالبلاء واستلذوا للهلكة ثم أخذ في
زيادات قوية أكثرها ذراع الى ثالث ذى الحجة وهو السادس من توت فبلغ
خمس عشرة ذراعاً وست عشرة أصبغاً نه انحط من يومه وانهمز على فوره ومس

بعض البلاد محلة القسم فكانما زارها طيف خياله في الحلم
وانما انتفع به ما كان من البلاد مطمئنا فاروى المنخفضات كالغرية ونحوها
غير أن القرى خالية من فلاح أو حراث أصلا فهم كما قال الله تعالى « فاصبحوا
لا يرى الا مساكنهم » ، وانما أرباب الحراث يجمعون شذاذهم ويلتقطون أفرادهم
وقد عز الحراث والبقر جدا حتى يباع الثور الواحد بسبعين دينارا والهازل
بدون ذلك وكثير من البلاد ينحصر عنه الماء بغير حقه ولغير وقته اذ ليس لها
من يسك الماء ويحبسه فيها فتبور لذلك مع ربها وكثير مما روى يبور لهجز أهله
عن تقاويه والقيام عليه وكثير مما زرع أظنه الدودة وكثير مما سلم منها ضوى وعطب
ونهاية سعر القمح في هذه السنة خمسة دنائير وأما يقوص والاسكندرية
فيلغ ستة دنائير

ومن الله سبحانه يرجى الفرج وهو المتيح للخير بمنه وجوده

الفصل الثالث

في عو ادث ستة وثمان وتسعين وخميس مائه

ودخلت هذه السنة والاحوال التي شرحناها في السنة الخالية على ذلك النظام
أوفى تزايد ، الى زهاء نصفها فتناقص موت الفقراء لقتلهم لالارتفاع السبب الموجب
وتناقص أكل بنى آدم ثم انقطع خبره أصلا
وقل خطف الاطعمة من الاسواق وذلك لفناء الصعاليك وقتلهم من المدينة ،
وانحطت الاسعار حتى عاد الارب بثلثة دنائير لقلة الآلين لالسيطرة المأكول ،
وصفت المدينة بأهلها ، واختصرت واختصر جميع ما فيها على تلك النسبة وائف الناس
السلا واستمروا على البلاء حتى عاد ذلك ذاته مزاج طيعي
وحكى لى انه بان بمصر تسع مائة منسج للحصر ، فلم يبق الا خمس عشرة منسجا ،
وقس على هذا سائر ماجرت العادة أن يكون بالمدينة من باعة وخبازين وعطارين
رأسا كفة وخياطين وغير ذلك من الاصناف ، فانه لم يبق من كل صنف من هؤلاء
الا نحو ما بقى من الحصريين أو أقل من ذلك

وأما الدجاج فعلم رأسا لولا أنه جلب منه شيء من الشام ، وحكى ان رجلا مصريا شارف الفقر فآلم ان اشترى من الشام دجاجة بستين دينارا ، وباعها بالقاهرة على القماطين بنحو ثمانى مائة دينار ، ولما وجد البيض يبع بضعة بدرهم ثم بيعتني ثم ثلاثا ثم أربعاً واستمر على ذلك وأما القراريح فيبع الفروج بمائة درهم ولبت برهة يباع الفروج بدينار فصاعدا

وأما الافران فاما تودع بأخشاب الدور ، فيشتري الفران الدار بالثمن البخر ويقد زروبه وأخشابه أيا ما تم يشتري آخر ، وربما كان فيهم من تنشطه نذاته فيخرج ليلًا يحوس خلال الديار فيحطبها ولا يجد ذاعرا

وكثيراً ما تقفر الدار بمالكها ولا يجد لها مشترى فيفصل أخشابها وأبوابها وسائر آلاتها فيبيعها ثم يطرحها مهدومة وكذلك أيضا يفعلون بدور الكسرا وأما الهلالية ومعظم الشارع ودور الخليج وحارة الساسة والمقس وما تاخم ذلك لم يبق فيها أنيس وإنما ترى مساكنهم غاوية على عروشها وكثيراً من أهلها موتى فيها . ومع ذلك فالقاهرة بالقياس الى مصر في غاية العماره وأهلها في غاية الثرة وأما الضواحي وسائر البلاد فيياب رأساً ، حتى ان المسافر يستريح في كل جهة أيا ما لا يصادف حيواناً إلا الرمم ما خلا البلاد الكبار كقوص واخميم والحلة ودمياط والاسكندرية . فان فيها بقايا وأما ما عدا هذه وأمثالها فان البلد الذى كان يحتوى على الوف غال أو كالحالى

وأما الاملاك ذوات الاجر المعتبرة فان معظمها خلا أو لم يبق دأب أهلها إلا حراستها بسد أبوابها وتحصين مسالكها أو اسكانها من يحرسها بأجرة ، اللهم الا ما كان من الملك في قصبة المدينة فان بعضه مسكون بأخف أجرة ، وأعرف ربما في أعمر موضع بالمدينة ذات أجر ، في الشهر مائة وخمسين دينار فعادت في هذه السنة الى نحو عشرين دينار ، وآخر في مثل موضعه ذات أجرته في الشهر ستة عشر ديناراً فعادت الى ثوبق الديار وجميع ما لم نذكره على هذا القياس أفهمه والذي رخص تحت الاحصاء من يرى بمن كلف وجرى به اسم في الديوان رضته المبضات في مدة ثمين ربع دينار أو ثلث دينار أو ثلثي دينار أو ستة اشهر أو سنة أو تسعين

وآخرها رجب من سنة ثمان وتسعين مائة ألف نفس واحدى عشر الفا الا أحاداً وهذا مع كثرته نزر في جنب الذين هلكوا في دارهم وفي أطراف المدينة وأصول الحيطان، وجميع ذلك نزر في جنب من هلك بمصر وما تانها، وجميع ذلك نزر في جنب من أكل في البلدين، وجميع ذلك نزر جداً في جنب من هلك أو أكل في سائر البلاد والنواحي والطرق وخاصة طريق الشام، فانه لم يرد أحد من ناحيته فسأله عن الطرق الا ذكرها مزرعة بالاشلاء والرمم وهكذا ماسلكته منها

ثم انه وقع بالفيوم والغرية ودمياط والاسكندرية موتان عظيم ووباء شديد ولا سيما عند وقت الزراعة فلعله يموت على المحراث الواحد عدة فلاحين

حكى لنا ان الذين بذروا غير الذين حرثوا وكذلك الذين حصدوا وباشروا زراعة لبعض الرساء فارسل من يقوم بأمر الزراعة ليجاء الخبر بموتهم أجمعين، فارسل عوضهم فأت أكرمهم، هكذا مرات في عدة جهات وسمعا من الثقات عن الاسكندرية ان الامام صلى يوم الجمعة على سبع مائة جنازة وان تركه واحدة انتقلت في مدة شهر الى أربعة عشر وارثا، وان طائفة كبيرة من أهلها تزيد على عشرين الفا انتقلوا الى رقة وأعمالها فعمروها وقطعوها، وهذه برقة كانت مملكة عظيمة وخربت في زمن اليازورى وعلى يديه، وكان وزيراً ظالماً فجلا عنها أهلها وسكن كثير منهم بالاسكندرية وكان هذا الحادث تقاص في الطبيعة ومن عجيب ما اتفق لشيخ من أطباء يهود مصر من يتناهى سوى من سبق ذكرهم

ان استدعاه رجل زبونه ذو شارة وشهرة بستر ودين وجدة، فلما حصل في المنزل أغلق الباب ووثب عليه لجل في عنقه وهما ومررت المريض خصيته غير أنه لم تكن لها معرفة بالقتل فعالت المناوثة وعلا ضججه فتسامع الناس ودخلوا فخلصوا الشيخ مرتناً وبه رمق يسير وقد كسرت نيتاه وحمل الى منزله فغشي عليه وأحضروا الفاعل الى الوالى فسأله ما حملك على ما فعلت. فقال الجوع فضربه ونفاه واتفق سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان وهو الخامس والعشرون من بشنس ان حدثت زلزلة عظيمة اضطرب لها الناس فهو امن. مضاجعهم مدهوشين راضين الى الله سبحانه ولت مدة طويلة وكانت حركتها كانهزلة أو كحق جناح الطائر ونفذت في ثلاث رجعات قوية مادت بها الانية واصطفقت الابواب

وصرصرت السقوف والاشخاب وتداعى من الابنية ما كان واهيا أو مشرقا عاليا ثم عاودت في نصف نهار يوم الاثنين الا أنهم لم يحس بها أكثر الناس لخفائها وقصر زمانها وكان في هذه الليلة برد شديد يهوج الى دنثار خلاف العادة وفي نهار ذلك اليوم تبدل بحر شديد وسهوم مفرط يضيق الانفاس ويأخذ بالكظم وقلبا تحدث زلزلة بمصر بهذه القوة

ثم أخذت الاخبار تتوارى بحدوث الزلزلة في النواحي النائية والبلاد النازحة في تلك الساعة بعينها ولذا صبح عندي أنها حركت في ساعة واحدة طابقة من قوص الى دمياط والاسكندرية ثم بلاد الساحل بأسرها والشام طولاً وعرضاً وتعفت بلاد كثيرة بحيث لم يبق لها أثر وهلك من الناس خلق عظيم وامم لا تحصى ولا أعرف في الشام بلدا أحسن سلامة من القدس فانها لم تنك في الامالا بال وكانت نكاية الزلزلة ببلاد الافرنج أكثر منها في بلاد الاسلام كثيرا

وسمعتنا ان الزلزلة وصلت الى اخلاط وتخومها والى جزيرة قبرس وان البحر ارتطم وطمج وتشوهت مناظره فانفرق في مواضع وصارت فرقه كالاطواد وعادت المراكب على الارض وقذف سمكا كثيرا على ساحله ووردت كتب من الشام دمشق وحماة تتضمن خبر الزلزلة وما اتصل لى من ذلك كتابان أوردهما بلفظهما

نسخة الكتاب الوارد من حماه

ولما كان سحرة يوم الاثنين السادس والعشرين من شعبان حدثت زلزلة كادت الارض تسير سيرا والجبال تمور مورا وما ظن أحد من الخلق الا أنها زلزلة الساعة وأتت دفعتين في ذلك الوقت أما الدفعة الاولى فاستمرت مقدار ساعة أو تزيد عليها واما الثانية فكانت دونها ولكن أشد منها وتأثر منها بعض القلاع فأولها فلقه حماه مع اتقاها وعمارتها وبارين مع اكتنازها ولطافتها وبعلبك مع قونها ووثقاتها ولم يرد عن البلاد الشاسقة والقلاع النازحة الى الآن ما ذكره

ثم حدث في يوم الثلاثاء السابع والعشرين منه عند صلاة الظهر زلزلة استوى في عليها اليقظان والنائم وتزعزع لها القاعد والقيام ثم حدثت في هذا اليوم أيضاً وقت صلاة العصر وصل الخبر من دمشق بأن الزلزلة أفسدت فيها منارة الجامع

الشرقية واكثر الطوسة والبيارستان جميعه و عدة مساكن تساقطت على اهلها وهلكوا

نسخة الكتاب الوارد من دمشق

المملوك ينهى حدوث زلزلة ليلة الاثنين سادس وعشرين شعبان وقت انفجار
الفجر واقامت مدة قال بعض اصحاب انها مقدار ماقرأ سورة الكهف وذكر
بعض المشايخ بدمشق أنه لم يشاهد مثلها فيما تقدم وما أثرت في البلد سقوط ست
عشرة شرفة من الجامع واحدى المآذن وتشقق اخرى وفيه الصاحى يعنى النسر
وانخساف الكلاسة ومات فيها رجلان ورجل آخر على باب جيرون وتشقق
بالجامع مواضع كثيرة وسقط بالبلد عدة دور

وذكر عن بلاد المسلمين أن بايناس سقط بعضها وصعد كذلك ولم يبق بها الا
من هلك سوى ولد صاحبها وكذلك تبنين ونابلس لم يبق لها جدار قائم سوى
حارة السمرة ويذكر ان القدر سالم والحمد لله

واما بيت جن فلم يبق منه الا الاساس والجدران وقد أنى عليها الخسف وكذلك
اكثر بلاد حوران غارت لا يعرف لبلد منها موضع يقال فيه هذه القرية الفلانية .
ويقال ان عكله سقط أكثرها وصدر ثلثها وغرفة خسف بها وكذلك صافينا
وأما جبل لبنان فهو موضع يدخل الناس اليه بين جبلين يجمع منه الرباس
لاخضر فيقال ان الجبلين انطبقا على من بينهما وذات عدتهم تناهز مائتى رجل وقد
أكثر الناس في حديثها

واقامت بعد ذلك أربعة أيام تحدث في النهار والليل

ونسأل الله لطفه وتديده وهو حسبنا ونعم الوكيل

ومن عجيب ما شاهدنا ان جماعة من يتألفى العلب وصلوا الى كتاب التشرريح
فكان يصير أفهامهم وفهمهم لقصور القول عن العيان فاخذنا ان بالمقس تلاقية
رسم كثيرة فخرجنا اليه فرأينا تلا من رسم له مسافة طويلة يكاد يكون تراه أقل
من الموتى به نحس ما يظهر منهم للعيان بعشرين الفافصاعدا وهم على طبقات في
قرب الصمد وبعده

فشاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها
فما شاهدنا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها واوضاعها

عليه او يكون ما شاهدناه مخالفا لما قيل فيها والحس اقوى دليلا من السمع فان جالينوس وان كان في الدرجة العليا من التحري والتحفط فيما يباشره وبحكميه فان الحس اصدق منه

ثم بعد ذلك يتخيل لقوله مخرج ان امكن فمن ذلك عظم الفك الاسفل فان الكل قد اطبقوا على انه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك وقولنا الكل انما نعني به ها هنا جالينوس وحده فانه هو الذى باشر التشرريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصنف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا والباقي لم يخرج الى اسان العرب

والذى شاهدناه من حال هذا العضو انه عظم واحد وليس فيه مفصل ولا درز اصلا واعتبرناه ماشاء الله من المرات في اشخاص كثيرة تزيد على التي جمعة باصناف من الاعتبارات فلم نجد الا عظما واحدا من كل وجه ثم اتنا استعنا بجماعة مفترقة اعتبروه بحضرتنا وفي غيبتنا فلم يزيدوا على ما شاهدوه منه وحكياء وكذلك في اشياء اخرى غير هذه وليت مكنتنا المقادير بالمساعدة ووضعنا مقالة في ذلك تحكى في ما شاهدناه وما علمنا من كتب جالينوس ثم انى اعتبرت هذا العظم ايضا بمدافن بوسير القديمة المقدم ذكرها فوجدته على ما حكيت ليس فيه مفصل ولا درز ومن شأن الدروز الخفية والمفاصل الوثيقة اذا تقادم عليها الزمان ان تظهر وتنفرد وهذا الفك الاسفل لا يوجد في جميع احواله الا قطعة واحدة واما العجز مع العجب ذكر جالينوس انه مؤلف من ستة اعظام ووجدته انا عظما واحدا واعتبرته بكل وجه من الاعتبار فوجدته عظما واحدا ثم انى اعتبرته في جثة اخرى فوجدته ستة اعظم كما قال جالينوس وكذلك وجدته في سائر الجثث على ما قل الا في جثتين فقط فانى وجدته فيهما عظما واحدا وهو في الجميع موثق المتصل ولست واثقا بذلك كما انا واثق باتحاد عظم الفك الاسفل

ثم اتنا دخدا مصر فراينا منها دروبا واسواقا عظيمة كانت مفتحة بالزحام وجميع حال ليس فيه حيوان الا ثاير سبيل في الاحايين وان المار فيها ليستوحش ومع ذلك فقلبا ينك قطر منها عن جثة وعظام متفرقة حتى خرجنا الى موضع يسمى اسكرجة فرعون فراينا الاقطار كلها مفتحة نالجت واردم رغلبت على الالاء بحيث جعلتها واددت تغلب على ترابها وهاهنا الاسكرجة وهي وهدة

عظيمة حين ما اشرفنا عليها الجاهج بيضا وسودا ووجدنا بعضها على بعض طبقات وقد اخفى كثرتها وتراكبها سائر العظام حتى ظننا رموس لم يكن معها ابدان يشبهها من ينظرها يبطخ قد قطع وجمع حتى صار كالليدر ثم رايتها بعد ايام وقد عرقتها الشمس وابيضت فشبهتها ببيض النعام المفراكم ولما رايت خلو تلك الحارات والاسواق من الناس وامتلاء تلك الصحارى والادام خيل الى انه سفر ارتحل فأغلى مكانا وشغل آخر هذا مع انه اى جهة نحاه القاصد صادف فيها ما حكينا واضافه

ووجد في ذى الحجة بمصر امرأة ذبحت صيدا لتأكله فأخذت وغرقت وقد ارتفعت هذه الحال وانقطع خبرها ومشاهدتها لم يوجد سوى هذه المرأة . ومن عجيب الكائنات في هذه المدة أن مولوداً في سبع وتسعين ولد براسين وولد مولود آخر أبيض الشعر ورايته وليس هو كيباض الشيب بل يحيل الى صهوة ما . وولدت في هذه السنة غفلة ولداً ميتاً وبقي في دار الوالى أياماً كثيرة وفي سنة ثمان وتسعين وجدت سحلة ذات لبن كان يخرج من حلمتها لأنه خبط دقيق وأحضرت بدار الوالى مرات وآخر ما أحضرت وعمرها أربعة أشهر

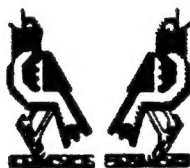
وأما خبر النيل في هذه السنة فنحن نسوفه باختصار أما أولاً فانه احترق في طوبة ثم تزايد احتراقه حتى صار مخاضات للناس والدواب وظهرت الحفرة فيه في جمادى الآخرة الكائن في برمات وتزايدت جدا في رجب حتى ظهرت في طعمه ولونه وريحه ثم تناقصت حتى ذهبت اصلا وانتهى احتراقه في رمضان وانحسر عن المقياس نحو ثمانى مائة ذراع وأطالع أى الرداد باستقرار الماء يوم الثلاثاء لخمس بقين من يؤنة وأربع بقين من رمضان من سنة ثمان وتسعين فكان القاع ذراعا ونصفا وكان في السنة الحالية ذراعين وابتدأ في الزيادة في السنة الحالية من هذا اليوم فاما في هذه السنة فار زيادته تأخرت الى الخامس والعشرين من أيب لم يرد في هذه المدة سوى أصابع حتى سابت ظنون الناس وشملهم اليأس وظنوا ان حادثا وقع بفوخته وعد منأ جريته ثم أخذ في الزيادة حتى النساخ أيب وهو على ثلاث أذرع ووقف يومين فاشتد هلع الناس لخروجه في التوقف عن المعتاد نهالينع نره رز. دات متداركة وجبال من المياه متدافعة فزاد ثمانى أذرع

في مدة عشرة أيام منها ثلاث أذرع متوالية وانتهى في رابع ثوث وهو الثاني عشر من ذى الحجة الى ست عشرة ذراعا تنقص اصعا وقام يومين ثم اخذ ينحط متباطئا وينصرف رويدا

فهذا ما قصدت اقتصاصه من احواله هذه الكائنة فليكن آخر المقالة ومنتهى الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد النبي الامى وعلى آله الطيبين الطاهرين

كتبه مؤلفه الفقير الى الله تعالى عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي في رمضان سنة ستاية بالقاهرة



١ - ٠ - ١

ن م ي ه

٧٦

محتويات الكتاب

صفحة

المقالة الاولى وهى ستة فصول

١٧ - الفصل الاول فى خواص مصر العامة

٢٠ - الفصل الثانى فيما تختص به من النبات

٣٠ - الفصل الثالث فيما تختص به من الحيوان

٣٦ - الفصل الرابع فى اختصاص ماشوعد من آثارها القديمة

٥٢ - الفصل الخامس فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن

٥٥ - الفصل السادس فى غرائب أطعمتها

المقالة الثانية وهى ثلاثة فصول

٥٧ - الفصل الاول فى النيل وكيفية زيادته واعطاء علل ذلك وقوانينه

٦٢ - الفصل الثانى فى حوادث سنة خمس وتسعين وخمس مائة

٧٠ - الفصل الثالث فى حوادث سنة ثمان وتسعين وخمس مائة

مطبعة المجلة الجديدة

١٤٩ شارع الملكة نازلي بمصر

مستعدة لطبع الكتب والجرائد والمجلات أتقن طبع بأرخص قيمة

ومها استعداد تام لتلبية كل الطلبات

